

مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية ومباحث في بعض مشاهد القيامة

إعداد

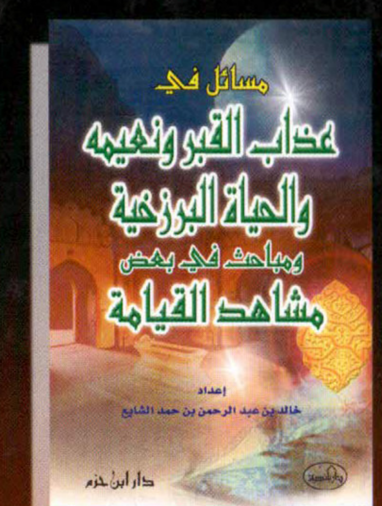
خالد بن عبد الرحمن بن حمد الشايع



دار ابن حزم

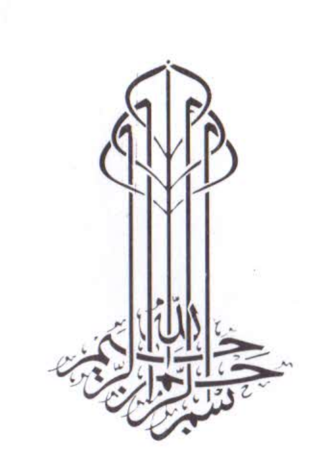






ISBN 9953-81-047-8

9789953810478



مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية ومباحث في بعض مشاهد القيامة

إعداد

خالد بن عبد الرحمن بن حمد الشايع


دار ابن حزم



الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-047-8

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

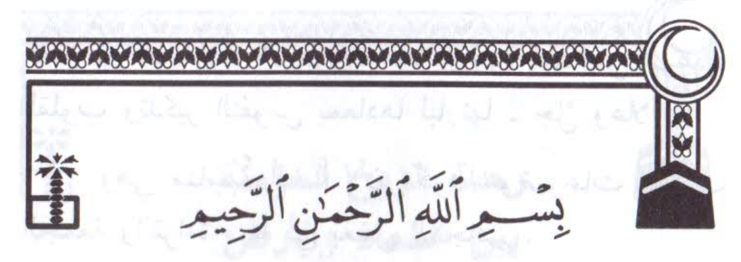
دار أطلس للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب ٥٧٢٤٢ – الرمز البريدي ١١٥٧٤ – هاتف ٤٥٤٧٥٤٩ فاكس : ٢٦٣١٤٩١

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤

مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية

بقلم
خالد بن عبدالرحمن بن حمد الشايع





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾.

وصلّى الله وسلّم على المبعوث رحمةً للعالمين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه مباحث تتعلق بمسألة عذاب القبر ونعيمه، وبعض المسائل المتصلة بالحياة البرزخية، كنت قد أعددتها ضمن حلقات برنامج الدار الآخرة: مشاهد وعظات؛ الذي أعدُّه وأُقدِّمه من خلال إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية، ولطلب بعض أهل العلم والفضل نشر ما قدّمته عبر الإذاعة فقد لبّيتُ طلبهم واخترت هذه المباحث التي بين يديك من بين

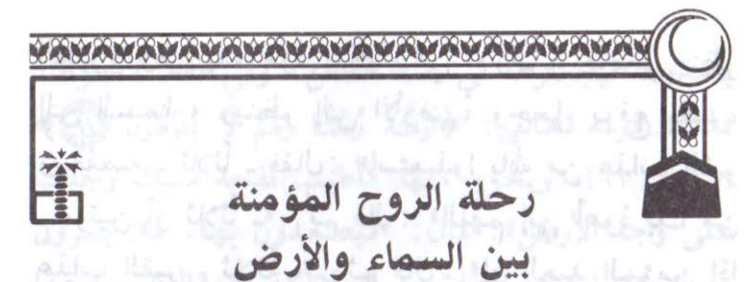
عدد من المباحث الأخرى، لما أرجوه فيها من موعظة القلوب وتذكير النفوس بمعادها لبارئها ـ جلَّ وعلا ـ.

وهي مناسِبةٌ أيضاً لأن تكون موضوعات لخُطب الجمعة والقراءة منها في بعض المجالس.

والله أسأله التوفيق والسداد، والأمن يوم الفزع الأكبر، وأن يشمل بذلك والديّ وذرّيتي وإخواني وأخواتي من المسلمين والمسلمات.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد.

وكتب: خالد بن عبدالرحمن بن حمد الشايع
الرياض ص. ب. ٥٧٢٤٢
عصر يوم الجمعة ١٤١٩/١/١٢هـ



رحلة الروح المؤمنة بين السماء والأرض

تحت هذا العنوان نستعرض حديثاً شريفاً من أحاديث المصطفى ﷺ، وفيه وصف دقيق لِلَّحظات الأخيرة من حياة الإنسان، ثم بيان للرحلة الكبرىٰ للروح بين السماء والأرض حتى تصير لمستقرها في العذاب أو في النعيم، نسأل الله الكريم من فضله، والعافية من أسباب سخطه وأليم عقابه.

وهذا الوصف الذي نحن بصدده ينتظم ويشمل جميع أرواح المكلَّفين من العباد، المؤمنين والكافرين، المتقين والفاسقين، وها هو الوصف نسوقه للتوِّ بطوله وبمجموع ألفاظه ورواياته.

فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع النبيّ ﷺ في جَنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا



الطير، وفي يده عودٌ ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ـ ثلاثاً ـ فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين أو ثلاثاً ـ». ثم قال: «اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ـ ثلاثاً ـ». ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة[1]، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأنَّ وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ـ وفي رواية: المطمئنة ـ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء، فيأخذها، ـ وفي رواية ـ حتىٰ إذا خرجت روحه صلّى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قِبلهم.

فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى

(١) والمعنىٰ: أنه في لحظات حياته الدنيا الأخيرة، وأوشك أن يبدأ حياته الآخرة الباقية.

يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١]، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض». قال: «فيصعدون بها، فلا يمرون ـ يعني بها ـ على ملإٍ من الملائكة إلَّا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها[1]، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، اكتبوا كتاب عبدي في عليين ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ١٩ ـ ٢١]. فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى».

قال: «فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده».

قال: «فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولَّوا عنه مدبرين.

فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه،

(١) يعني: يتبعه الملائكة المقربون ليؤنسوه.

فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت. فينتهره، فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمد ﷺ.

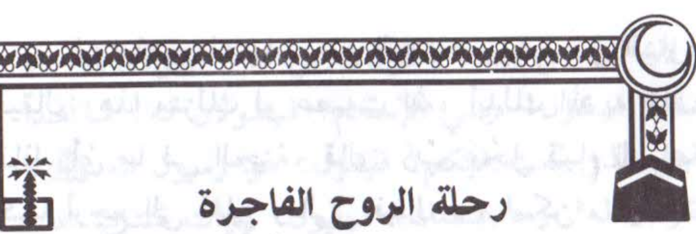
فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة». قال: «فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره».

قال: «ويأتيه ـ وفي رواية: يمثل له ـ رجلٌ حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، أبشر برضوانٍ من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: وأنت فبشَّرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلّا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً.

ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا. فإذا رأىٰ ما في الجنة، قال: رَبِّ عَجِّل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي. فيقال له: اسكن».

تلكم هي رحلة الروح المؤمنة، حيث يحيطها الله برعايته ويكلؤها بعنايته، فضلًا منه ـ جلَّ وعلا ـ ونعمةً، كي ترجع تلك الروح التي عرفت ربها وعبدته في الدنيا إلى ربِّها راضية مرضية، ولنتلبث الآن عند رحلةِ أخرىٰ، مفزعةٍ مخيفة. ألا وهي رحلة الروح الفاجرة...





رحلة الروح الفاجرة بين السماء والأرض

أما رحلة الروح الكافرة أو الفاجرة فها نحن نسوقها كما ساقها الصادق المصدوق ﷺ إذ قال:

«**وإن العبد الكافر** ـ وفي رواية: **الفاجر** ـ **إذا كان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سُود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب**».
قال: «**فتفرق في جسده، فينتزعها، كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب.**

فيلعنه كل ملَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألَّا تعرج روحه من قِبلهم،

فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح.

ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلَّا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، **فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلىٰ. ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ. فتطرح روحه من السماء طرحاً، حتى تقع في جسده**». ثم قرأ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. **فتعاد روحه في جسده**» قال: «**فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولَّوا عنه.**

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولون له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد. فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك».

قال: «فيقال: لا دريت ولا تلوت[1]. فينادي منادٍ من السماء: أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

ويأتيه ـ وفي رواية: ويمثل له ـ رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: وأنت فبشَّرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شرًّا.

ثم يقيَّض له أعمى أصم أبكم، في يده مرزبة، لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له

(١) أي: لا دريتَ، ولا اتَّبعت من يدري.

باب من النار، ويمهد من فرش النار، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»[1].

وبعد أيها الأخ الكريم ويا أيتها الأخت الكريمة، تلك هي الرحلة العظمىٰ للروح بين السماء والأرض، فليت شعري على أي طائر ستكون رحلة أرواحنا ومَنْ مِنَ الملائكة سيستقبلون أرواحنا، وبأي اسم سننادىٰ به في ذلك العروج وكيف سيكون حالنا في تلك الفتنة

(١) وهذا الحديث الصحيح رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٧/٤ و٢٩٥) بهذا السياق، ورواه أيضاً أبو داود (٣٢١٠)، والنسائي (٢٨٢/١)، وابن ماجه (١٥٤٨) و(١٥٤٩)، والحاكم (٣٧/١ ـ ٤٠)، وأبو داود الطيالسي (٧٥٣) وغيرهم بألفاظ أخرى مختصرة ومطولة، وصححه العلَّامة ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢١٤/١)، وفي «تهذيب السنن» (٣٣٧/٤)، كما نبَّه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» (١٣١/٢) إلى كثير من ألفاظه وطرقه، وعني به أيضاً الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» (٢٣٤/٣ ـ ٢٤٠) وأشار إلى جملة من ألفاظه وطرقه وضمن ذلك فوائد كثيرة ونفيسة. وعني به أيضاً العلَّامة المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ في كتابه الفذ «أحكام الجنائز» (ص١٩٨ ـ ٢٠٢) حيث ساقه بمجموع طرقه وألفاظه وعنه نقلنا السياق الآنف الذكر. وأصل الحديث في «صحيح البخاري» (١٣٦٩) و«صحيح مسلم» (٢٨٧١).



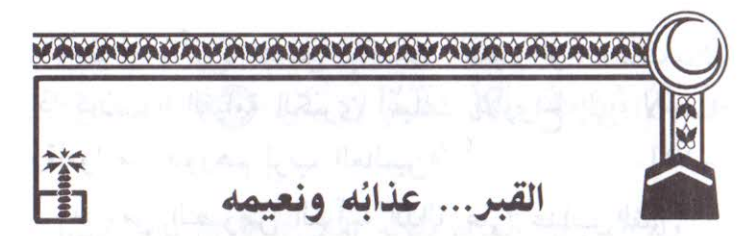
الكبرىٰ في القبر، وماذا سيكون نزلنا في دار البرزخ، وهل سنكون معذَّبين فيه أم منعمين.

لا ريب أيها الإخوة الكرام أنَّ كل مسلم يأمل ويرجو النجاة من عذاب الله تعالى والفوز برضاه، ولكن لو حاسب الإنسان نفسه فسيتبدى له ملامح من حاله التي هو عليها، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]، والحلال بيِّن والحرام بيِّن، وما كان الله معذِّباً أحداً حتىٰ يقيم عليه الحُجة ويبلغه ويبيِّن له، وبعد ذلك فحكم الله بيِّن إذ قال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨].

والآن عُدْ إلى نفسك وَزِنْها بأعمالها فإن وجدت الإحسان والإقبال على الطاعات والتقاصر عن الموبقات فأمِّلْ رضى الله والنجاة واستمر على فعل الخيرات.

وإن وجدت التقصير والانهماك في أنواع السيئات وترك الواجبات فأنت مخطور، فبادر إلى ربك تائباً وتملَّق بين يديه معتذراً، وأبشر بعد ذلك بوعد الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

وفَّقنا الله جميعاً لفعل الخيرات واجتناب المنكرات ورزقنا السعادة في الدنيا والآخرة.



القبر... عذابه ونعيمه

أخي القارىء... أختي القارئة:

نقرر هنا ما قرره أئمة أهل السنَّة والجماعة من وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

فللناس ثلاثةُ مراحل يمرون بها:

الأولى: هذه الحياة الدنيا.

والثانية: مرحلة البرزخ.

والثالثة: الحياة في الدار الآخرة، حيث البقاء الأبدي الذي لا زوال له ولا انقضاء.

والحياة في دار البرزخ حياة خاصة، وفيها يُفتنون، وينعمون أو يعذَّبون، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة، «وهذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأنَّ ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأنَّ الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذَّبة، وأنها تتصل

بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين»[1].

ومن النصوص القرآنية الدالة على عذاب القبر:

قول الله تعالى في سورة (غافر): ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: «إن أرواحهم ـ أي: فرعون وأتباعه ـ تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ أي: أشدَّه ألماً، وأعظمَهُ نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنَّة على عذاب البرزخ في القبور، وهو قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ اهـ[2].

ومن النصوص القرآنية ـ أيضاً ـ قوله تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٢٤٨/٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨٥/٤)، ط. دار السلام ١٤١٣هـ.

لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥ ـ ٤٧].

والأظهر في المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الأظهر أنَّ المراد به العذاب في البرزخ كما نبَّه إلى ذلك العلَّامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب «الروح»[1]، وقال: «قد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على عذاب القبر».

وأما الأحاديث النبويّة الصحيحة عن المصطفى ﷺ في إثبات عذاب القبر فهي كثيرة مستفيضة، وقرر بعض الأئمة تواترها عنه ﷺ[2].

ومن الأحاديث حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ المخرج في «السنن» و«المسند» والذي سقناه من قبل، وهو أتمها سياقاً.

ومن الأحاديث الدالة على عذاب القبر أيضاً:

ما رواه البخاري في «صحيحه»[3] عن أم المؤمنين

(١) (٣٣٨/١)، ط. دار ابن تيمية، تحقيق: العموش.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨٥/٤)، و«الروح» (٢٨٤/١).

(٣) رقم (١٣٧٢).

عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: **«نعم، عذاب القبر»** وفي لفظ: **«عذاب القبر حق»**. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوّذ من عذاب القبر.

وفي «الصحيح» أيضاً[1] عن أسماءَ بنتِ أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: قام رسول الله ﷺ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يُفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجة. زاد النسائي قولَ أسماء: ضج المسلمون ضجةً حالت بيني وبين أن أفهم آخر كلام رسول الله ﷺ، فلما سكت ضجيجهم قلت لرجلٍ قريبٍ مني: أي بارك الله فيك، ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر كلامه؟ قال: قال: **«قد أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور، قريباً من فتنة الدجال»**.

وفي «صحيح مسلم»[2] عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلته،

(١) رقم (١٣٧٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٥٨٨)، «سنن أبي داود» (٩٨٣)، «سنن النسائي» (٥٨/٣)، «سنن ابن ماجه» (٩٠٩).

ونحن معه إذ حادت به، فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: **«من يعرف أصحاب هذه القبور؟»**. فقال رجل: أنا. قال: **«فمتىٰ مات هؤلاء؟»**. قال: ماتوا في الإشراك. فقال: **«إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»**. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **«تعوّذوا بالله من عذاب القبر»**. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: **«تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»**. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: **«تعوّذوا بالله من فتنة الدجال»**. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وفي «صحيح مسلم» و«السنن»[1] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيّ ﷺ قال: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوَّذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»**.

ومن الأدلة المقررة لحقيقة عذاب القبر ما رواه مسلم في «صحيحه»[2] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

(١) رقم (٥٩٠).

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٧٥)، «صحيح مسلم» (٢٨٦٩).



أنَّ النبيّ ﷺ كان يعلِّمهم هذا الدعاء كما يعلِّمهم السورة من القرآن: «**اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**».

وفي «الصحيحين» عن أبي أيوب قال: خرج النبيّ ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً، فقال: «**يهود تعذَّب في قبورها**».

وبما تقدَّم أيها الأخوة الكرام يتبين أنَّ للناس في قبورهم حياةً أخرىٰ، لها خصوصياتها وتعلق الروح بالبدن فيها تعلق خاص، والناس في تلك الحياة البرزخية ينالهم من العذاب أو النعيم بحسب أعمالهم التي قدموها في حياتهم الدنيا.

كما أنَّ ذلك العالَم البرزخي من عالم الغيب الذي يجب علينا أن نؤمن به وفق ما دلّت عليه النصوص الكتاب والسنَّة. كما سنوضح ذلك فيما بعد بعون الله إضافةً لبعض المسائل الأخرىٰ المتعلقة بعذاب القبر ونعيمه وما يتصل بهما.

أسأل الله الجواد الكريم أن يجعل قبورنا ووالدينا وإخواننا المسلمين رياضاً من رياض الجنة.



طائفة من كلام الأئمة حول عذاب القبر ونعيمه

نقل بعضاً من كلام الأئمة العلماء في تقرير هذه المسألة.

وذلك أنَّ أهل السنَّة متفقون على «أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأنَّ ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأنَّ الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذَّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرىٰ أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين». قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنَّة»[١].

ونقل العلَّامة ابن القيم عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضالّ أو مُضِلّ.

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/٢٨٤).

وقال حنبل: قلت لأبي عبدالله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ في عذاب القبر، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها، ونقرّ بها، كلما جاء عن النبيّ ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقرّ بما جاء به رسول الله ﷺ، ودفعناه ورددناه، رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]. قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق، يعذَّبون في القبور [١].

وقرر ذلك شيخ الإسلام في مواضع عديدة من مؤلفاته، ومنها ما قرره في «العقيدة الواسطية» حيث قال: «ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبيّ ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يُفتنون في قبورهم فيقال للرجل: من ربك، وما دينك، ومن نبيّك؟ فيثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فأمَّا المؤمن، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ نبيّي. وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس

(١) انظر كتاب «الروح» (ص١٦٦)، ط. دار ابن كثير، تحقيق: يوسف علي بديوي.

يقولون شيئاً فقلته. فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق» [١].

وقال العلَّامة الطحاوي الحنفي في عقيدته السلفية الشهيرة، إن أهل السنَّة والجماعة يؤمنون: «بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره، عن ربه ودينه ونبيّه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران». اهـ [٢].

وعن عذاب القبر ونعيمه يقول العلَّامة ابن القيم:

«ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِر أو لم يُقبَر فلو أكلته السباع أو أُحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صُلِب أو غَرِق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور» [٣].

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» مع شرحها: «الروضة الندية» (ص٣١١)، ط. الوطن، لشيخنا العلَّامة زيد بن عبدالعزيز الفياض ـ رحمه الله ونوَّر ضريحه ـ.

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٧٢)، ط. الرسالة.

(٣) «الروح» (ص١٦٨).



«وهذا البرزخ الذي هو ما بين الدنيا والآخرة يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ولكل منهم نصيبه من عذاب البرزخ أو نعيمه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب، وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رماداً وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصىٰ بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم. فإذا هو قائم بين يدَي الله فسأله: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم. فرحمه الله وعفا عنه. وهذه القصة مخرجة في «الصحيح» على لسان المصطفى ﷺ[1].

فعذاب البرزخ ونعيمه لا يفوت تلك الأجزاء التي صارت رماداً، حتى لو عُلِّق الميت على رؤوس الأشجار في مَهَابِّ الريح لأصاب جسدَه وروحَه من نعيم البرزخ وعذابه نصيبُه. ولو دُفن الرجل الصالح في طبقات من نار لأصاب جسده وروحه من نعيم البرزخ نصيبُه وحظُّه، فيجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فعناصر العالم وموادُّه منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده،

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٨١).

بل هي طوع مشيئته، مذللة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته. اهـ. ملخصاً من «الروح»[1].

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ أمور البرزخ من الغيب الذي يجب على كل مسلم ومسلمة. أن يؤمن به مجملاً حيث أُجمِل، ومفصلاً حيث فُصِّل، كما جاء في القرآن العظيم والسنَّة المطهرة. ولكن قد يُظهر الله تعالى لبعض عباده شيئاً من أحوال أهل القبور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا أصوات المعذَّبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم يعذَّبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكنَّ هذا لا يجب أن يكون دائماً على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون في حال دون حال»[2].

ومن الأدلة على ذلك ما رواه البخاري[3] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مرَّ النبيّ ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذَّبان في قبورهما، فقال النبيّ ﷺ: **«يعذَّبان، وما يعذَّبان في**

(١) (ص٢٠١ ـ ٢٠٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٩٦/٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٢١٦).



كبير»[١]. ثم قال: «**بلى**[٢]**، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**». ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبرٍ منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال ﷺ: «**لعلَّه أن يخفف عنهما، ما لم ييبسا**».

وروى الطحاوي[٣] بسند حسن عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**أُمر بعبد من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يَسأل ويدعو حتى صارت جلدةً واحدةً، فجُلد جلدةً واحدةً فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه، قال: عَلامَ جَلَدْتُموني؟ قالوا: إنك صلَّيت صلاة بغير طهور، ومررتَ على مظلوم فلم تنصره**».

ومما شوهد في هذا الباب ما ذكره ابن أبي الدنيا في «كتاب القبور» ونقله عنه العلَّامة ابن القيم في كتاب «الروح»[٤] عن أحد ثقات التابعين وهو سويد بن حجير قال: مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة،

(١) أي: في ذنب لا يشق عليهما الاحتراز منه، أو بمعنى أنه ليس بكبير عندهما. «الفتح» (٣١٨/١).
(٢) أي: ولكنه كبير عند الله. أو أنه صار كبيراً بمواظبتهما عليه.
(٣) «شرح مشكل الآثار» (٢١٢/٨) رقم (٣١٨٥).
(٤) (ص٣١٩).

فسمعنا نهيق حمار، فقلنا لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا كانت أمه تكلِّمه بالشيء فيقول لها: انهقي نهيقك. فلما مات سُمع هذا النهيق من قبره كل ليلة.

والوقائع في هذا الباب كثيرة يضيق المقام عن إيرادها، ومهما يكن من أمر، فإن تلك القبور، وإن بدت للناظرين ساكنة، ولكن ما في داخلها أمر آخر، فكم من معذَّب فيها مغموم محزون، وكم منعم فيها فرح مسرور. والله المستعان.



بعض أحوال أهل القبور

خَرَّج البخاري في كتاب التعبير - أي: تعبير الرؤىٰ وتفسيرها - من «جامعه الصحيح»[1] باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - الطويل قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: **«هل رأىٰ أحدٌ منكم رؤيا؟»**. قال: فيقصُّ عليه ما شاء الله أن يقصّ، وإنه قال لنا ذات غداةٍ: **«إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني»**. [أي: أتاه ﷺ ملكان في المنام وأيقظاه وهذا نوع من الوحي لأن رؤيا الأنبياء وحي كما هو معلوم]. ثم ذكر ﷺ ما رأىٰ في تلك الرؤيا، ونذكر منها ما هو متعلق بموضوعنا هذا مما رآه ﷺ من أحوال بعض الذين يعذَّبون في قبورهم، ومن ذلك: قوله: **«وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا**

(١) رقم (٧٠٤٧).

هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه - أي: يشدخه ويكسره - **فيتدهده الحجر هاهنا** - أي: يتدحرج - **فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى»**. وجاء في تمام الحديث بيان حال هذا الرجل وهو: **«أنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»**.

وفي هذه المعصية يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآيات: «﴿سَاهُونَ﴾ إما عن وقتها الأول، فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي». اهـ[1].

ومما جاء في حديث المنام الذي رواه سمرة بن

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/٥٥٤).

وذلك يوجب على كل مسلم ومسلمة الحذر غاية الحذر من هذا الذنب العظيم وأن يحذر من أسبابه وما يوصل إليه، مثل الخلوة المحرمة، أو تعاطي أسباب الفتنة مثل التبرج وإظهار مفاتن المرأة، وهكذا إطلاق البصر بالنظر إلى المحرمات واستماع الأغاني التي هي مُحَرِّضٌ من المحرضات على مواقعة الفاحشة، وغير ذلك من الأسباب والوسائل.

وجاء في حديث المنام المشار إليه أيضاً قوله ﷺ: «**فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكَلُّوب من حديد** ـ وهي حديدة معوجة الرأس ـ **وإذا هو يأتي أحد شقَّي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه** [أي: يقطع ويشق وجهه من جهة الفم إلى الوراء] **ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه**». قال: «**ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل المرة الأولى**». وجاء في تمام الحديث أنَّ ذلك المعذَّب هو: «**الذي يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**».

ومن الذين رآهم النبيّ ﷺ يعذَّبون في قبورهم أقوام وقعوا في الغيبة المحرمة، يوضح ذلك ما رواه

الإمام أحمد[1] وأبو داود[2] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نُحَاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**».

وبما تقدم يُعلم أنَّ تلك الذنوب التي ارتكبها أولئك الذين رآهم النبيّ ﷺ يعذَّبون يُخشى على من واقعها مثل ذلك العذاب. وهذا يوجب الحذر منها.

وأيضاً هنالك نماذج أخرى مبثوثة في مواضعها تبين بعض ما أظهره الله لخلقه من عذاب أهل القبور أو نعيمهم.

نسأل الله الجواد الكريم أن يتغمدنا بعفوه ورحمته وأن يشمل بذلك والدينا وإخواننا المسلمين.



(١) «المسند» (٣/٢٢٤).

(٢) «السنن» (٤٨٧٩).

الخبيث لزناهم، والذين تقرض شفاههم بمقارض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب، وجاء في حديث رواه أبو سعيد عنه ﷺ ذكر أرباب بعض الجرائم وعقوباتهم:

فمنهم: من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أَكَلة الربا.

ومنهم: من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم، وهم أَكَلة أموال اليتامىٰ.

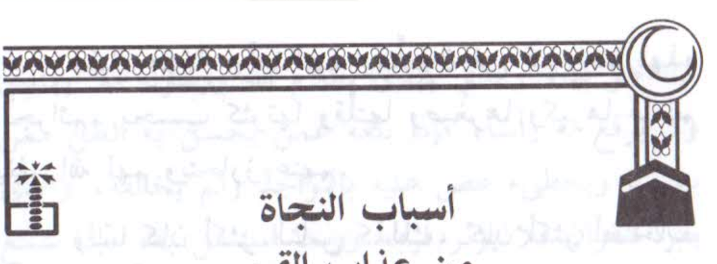
ومنهم: المعلقات بثديهن وهن الزواني.

ومنهم: من تقطع جنوبهم ويطعَمون لحومهم، وهم المغتابون.

ومنهم: من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم، وهم الذين يمزقون أعراض الناس، وأخبر ﷺ عن صاحب الشملة التي غلَّها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره، هذا وله فيها حق، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق فيه!

فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله: فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والمُوضعُ في الفتنة، والداعي إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به، والمجازف

في كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامىٰ، وآكل السحت من الرشوة وغيرها، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق، أو مال المعاهد، وشارب المسكر والزاني واللوطي، والسارق والخائن والغادر، والمخادع والماكر، وآخذ الربا ومعطيه، وكاتبه وشاهداه، والمحلِّلُ والمحلَّلُ له، والمحتال على إسقاط فرائض الله، وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين ومتتبعُ عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بغير ما شرعه الله، والمعينُ على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرَّم الله، والملحدُ في حرم الله، والمعطلُ لحقائق أسماء الله وصفاته الملحدُ فيها، والمقدِّمُ رأيه وذوقه وسياسته على سنّة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمعُ إليها، ونوَّاحو جهنم، وهم المغنّون الغناء الذي حرَّمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور، ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراؤون، والهمازون واللمازون، والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدِّقونهم، وأعوان الظَّلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوَّفته بالله وذكَّرته به لم يرعوِ ولم ينزجر، فإذا خوَّفته بمخلوقٍ مثله خاف وارعوىٰ وكفَّ



أسباب النجاة من عذاب القبر

يقول العلَّامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذا السياق[(١)]: إن الأسباب المنجية من عذاب القبر من وجهين مجمَل ومفصّل ـ ونحن ننقل كلامه هنا مع شيء من التصرف ـ.

أما المجمَل فهو: تجنب الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفع أسباب تجنب عذاب القبر، أن يجلس الإنسان عندما يريد النومَ لِلَّهِ ساعةً يحاسبُ نفسَه فيها على ما خَسِرَه ورَبِحَه في يومه، ثم يُجدِّدُ له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزِمُ على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعلُ هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسروراً بتأخير أجله، حتى

(١) (ص٢١٦ ـ ٢٢٧)، ط. دار ابن كثير.

يستقبل ربه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفعُ من هذه النومة، ولا سيما إذا عَقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم، حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفَّقه لذلك ولا قوة إلا بالله.

وأما الجواب المفصَّل، فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر:

فمن ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه»[(١)] عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أُجريَ عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجريَ عليه رزقه وأمن الفَتَّان**».

ومعنى الرباط: الإقامة بالثغر مقوياً للمسلمين على الكفار، والثغر: كُلُّ مكان يخيف أهلُه العدوَ، ويخيفُهم، والرباط فضله عظيم وأجره كبير، وأفضله ما كان في أشد الثغور خوفاً[(٢)]، وهل يدخل في ذلك مرابطة رجال الأمن لحفظ أمن المسلمين وحراسة مصالحهم في عموم الجهات، الظاهر كذلك،

(١) رقم (١٩١٣).
(٢) انظر: «المُغني» (١٣/١٨ ـ ٢٠) لابن قدامة ـ رحمه الله ـ.

والمطلوب احتساب الأجر، ويُذكر في هذا السياق قول المصطفىٰ ﷺ: «**عينان لا تمسُّهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**». رواه الترمذي[1].

ومما ينجي من عذاب القبر ما دلَّ عليه ما رواه النسائي[2] عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ أنَّ رجلًا قال: ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفىٰ ببارقة السيوف على رأسه فتنة**». وروى الترمذي وابن ماجه[3] وغيرهما بسند صحيح عن المقدام بن معديكرب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «**للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويُرىٰ مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلَّى حُلَّة الإيمان، ويزوَّج من الحور العين، ويشفَّع في سبعين إنساناً من أقاربه**». هذا لفظ ابن ماجه، وعند الترمذي: «**ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفَّع في سبعين من أقاربه**». وهذا

---

(١) «جامع الترمذي» (١٦٣٩).

(٢) «سنن النسائي» (٤/٩٩).

(٣) «جامع الترمذي» (١٦٦٣)، «سنن ابن ماجه» (٢٧٩٩).

بعض فضل الجهاد في سبيل الله والاستشهاد فيه.

ومما جاء فيما ينجي من عذاب القبر: ما ثبت عند أبي داود[1] والترمذي[2] وابن ماجه[3] والنسائي في «عمل اليوم والليلة»[4] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**سورةٌ من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له**». فدل هذا الحديث وما جاء في معناه من الآثار على أنَّ من حافظ على قراءة سورة (الملك) وداوم على ذلك وعمل بها دلت عليه فإنها تنجيه من عذاب القبر.

ومما جاء فيما ينجي من عذاب القبر: ما صحَّ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من يقتله بطنه، فلن يعذَّب في قبره**». رواه الترمذي[5]، وهذا يَحمِلُ مَنْ أُصيب بداء البطن أن يصبر ولا يجزع، ويحتسب الأجر عند الله، وإن احتسبه أهله كذلك.

ومما يُستأنس به في هذا الباب ما رواه ابن حبان في «صحيحه» وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

---

(١) رقم (١٤٠٠).

(٢) رقم (٢٨٩١).

(٣) رقم (٣٧٨٦).

(٤) رقم (٧١٠).

(٥) «جامع الترمذي» (١٠٦٤)، ورواه النسائي (٤/٩٨) أيضاً.

عن النبيّ ﷺ قال: «**إن الميت إذا وُضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه.**

فيؤتىٰ من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مَدخل. ثم يؤتىٰ عن يمينه، فيقول الصيام: ما قِبلي مدخل. ثم يؤتىٰ عن يساره، فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخل. ثم يؤتىٰ من قِبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبلي مدخل. فيُقال له: اجلس. فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أُدنيت للغروب، فيُقال له: أرأيتَكَ هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه؟! وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلّي. فيقولون: إنك ستفعل، أخبِرنا عما نسألك عنه، أرأيتَكَ هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟». قال: «**فيقول: محمد، أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله. فيُقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مُتَّ، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما**

أعدَّ الله لك فيها. فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدَّ الله لك فيها لو عصيته. فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينوّر له فيه، ويعاد الجسد لِما بدأ منه، فتجعل نَسَمَتُه في النَّسَم الطيب، وهي طير يعلَقُ في شجر الجنة». قال: «**فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]» إلى آخر الآية. ثم ذكر تمام الحديث[(١)].

وقد دلَّ على أنَّ تلك الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس من أسباب النجاة من عذاب القبر وكُرَبه وفتنه.

والجامع في ذلك تحقيق التقوىٰ لله تعالى بأداء ما أوجبه الله وترك ما حَرَّمه عليه، والإكثار من التوبة

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٧٨١) «موارد»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٨٠ ـ ٣٨١)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٥٢) وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن». وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/٢٣٧، ٢٣٨) وسكت عنه فهو حسنٌ عنده، وحسَّن إسناده أيضاً محققا. «موارد الظمآن» (٧٨١).

ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العباد، للحساب والجزاء[1].

المسألة الثانية: اعلم ـ رحمني الله وإيَّاك ـ أنَّ من شدائد القبر وكُرَبه ضمتَهُ وضغطتَهُ التي لا ينجو منها أحد، فقد صح عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ للقبر ضغطة، فلو نجا أو سلم أحدٌ منها، لنجا سعد بن معاذ**». رواه الإمام[2] أحمد وغيره من حديث عائشة، وروى النسائي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**هذا [يعني سعد بن معاذ] الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً، ثم فرج عنه**»[3].

وللحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ تعليق لطيف على هذا الموضوع، أسوقه هنا بحروفه كما أورده في «سير أعلام النبلاء»[4] حيث قال: «هذه الضمة ليست من

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/٢٨٤) و«الروح» (ص٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٢) (٦/٥٥ و٩٨).

(٣) «سنن النسائي» (٤/١٠٠)، وانظر: تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» (١٦٩٥) (٤/٢٦٨) للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٤) (١/٢٩٠ ـ ٢٩١).

عذاب القبر في شيء، بل هو أمرٌ يجده المؤمن كما يجد ألم فَقْدِ ولدِه وحميمِه في الدنيا، وكما يجدُ من ألم مرضه، وألم خروج نَفْسِه، وألم سؤاله في قبره وامتحانِه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك، فهذه الأراجيف كلُّها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم، ولكنَّ العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كلِّه، ولا راحةَ للمؤمن دون لقاء ربه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي، ومع هذه الهزات فسعدٌ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء ـ رضي الله عنه ـ كأنك يا هذا تظن أنَّ الفائز لا يناله هولٌ في الدارين، ولا روعٌ ولا ألمٌ ولا خوف، سَلْ ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد». اهـ.

اللَّهم إنَّا نسألك العفو والعافية وأن تحشرنا في زمرة محمد بن عبدالله عبدك ورسولك وصحابته البررة.

المسألة الثالثة: أنَّ الأرواح مخلوقة كبقية المخلوقات فهي مصنوعة مربوبة مدبَّرة بأمر الله جلَّ

وعلا[1]، قال الحافظ القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]: «(هذا) دليل على خلق الروح، أي: هو أمر عظيم وشأن كبير، من أمر الله تعالى، مُبْهِماً وتاركاً تفصيله، ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها»[2].

وعن موت الروح، قال شارح العقيدة الطحاوية: «والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتُها لأجسادها، وخروجُها منها، فإن أُريدَ بموتها هذا القدر، فهي ذائقةُ الموت، وإن أُريد أنها تُعْدَم وتفنىٰ بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب»[3] كما تقدم بيانه.

المسألة الرابعة: أنَّ طائفة من الناس ضلَّت ضلالاً مبيناً فزعمت أنَّ الأرواح تتناسخ بمعنىٰ أنَّ الروح بعد مفارقتها للبدن تحل في أبدانٍ وأجسام أخرىٰ تتناسب معها، فزعموا أنَّ منها ما يحل في الحيوانات وفي

(١) انظر: «الروح» (ص٥٣١)، ط. دار ابن كثير.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/٣٢٤).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٥٧١) لابن أبي العزِّ الحنفي ـ رحمه الله ـ.

الحشرات وفي الطيور وغير ذلك مما يناسبها ويشاكلها، وهذا القول قول باطل مخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو كفرٌ بالله واليوم الآخر[1].

وهذا المذهب الباطل ظهر قديماً، وعاد للظهور في زماننا المعاصر بثوب جديد وسُميَ بـ «الروحية الحديثة» أو تحضير الأرواح، وقد راجت هذه الفكرة الباطلة في بعض بلاد الغرب وأُسست لها جمعيات خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في حدود عام ١٨٨٢م ولم تزل ضلالاتهم وأباطيلهم ظاهرة لكل عاقل متبصر[2].

وفي هذا السياق يقول الحافظ القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه «المفهم»:

«ولا يُلتفت لقول التناسخية القائلين بأنَّ الأرواح تنتقل إلى أجساد أُخر لينالوا السعادة أو الشقاوة، وهو قولٌ مناقض لما جاءت به الشريعة ولما أجمعت الأمةُ عليه، ومعتقِده يكفر قطعاً، فإنه أنكَرَ ما عُلِمَ قطعاً من

(١) انظر: «الروح» (ص٢٩٢)، ط. ابن كثير.

(٢) انظر: مقدمة كتاب «الروح» (١/١٥٧) بقلم: المحقق د. بسَّام العموش.

فالمرء مع من أحب في البرزخ ويومَ القيامة، والله سبحانه يزوِّج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، ويجعلُ روحَ المؤمن مع الأرواح الطيبة، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

ومن الأرواح ما يكون في تنور الزناة والزواني، ومنها ما يكون في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كما جاء في حديث المنام الذي رواه سمرةُ بنُ جُندب، وقدمناه من قبل.

وبهذا يُعلم أنه ليس للأرواح، سعيدها وشقيها مستقرٌ واحد بعد مفارقتها الأبدان، بل منها ما يكون في أعلىٰ عليين، ومنها ما يكون في الأرض السُّفلىٰ، لا تصعد عن الأرض»[1].

ومما يعين على تفهم ذلك تأمل المسألة التالية، وهي:

المسألة السادسة: وهي أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ قد قضىٰ أن تكون الدور ثلاثاً، دارُ الدنيا ودارُ البرزخ ودارُ القرار، وجعل سبحانه لكلِّ دارٍ أحكاماً تختص

(١) انظر: «الروح» (ص١٨١ و٢٩٥ ـ ٢٩٦) ط. دار ابن كثير، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٥٧٨ ـ ٥٧٩).

بها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ورُوح، ولهما في كل دارٍ من هذه الدور الثلاثة حكمٌ وشأنٌ مختلف عن الأخرىٰ.

ودار الدنيا: هي الدارُ التي نشأت النفس فيها وأَلِفَتْها واكتسبت فيها الخير والشر، وأسبابَ السعادة والشقاوة، وأحكامُ دار الحياة الدنيا متوجهةٌ إلى الأبدان، والأرواحُ تبعٌ لها، ولأجل ذلك جعل الله سبحانه الأحكام الشرعية مرتبةً على ما يظهر من حركاتِ اللسان والجوارح، وإنْ أضمرت النفوسُ خلافَه.

ويتخلل تعلُّقَ الروح بالجسد في دار الدنيا تعلقٌ أخص، وهو تعلُّقها به عندما يكون الإنسان جنيناً في بطن أمه، وآخر وهو تعلّقها به في حال النوم، فإنَّ للروح بالجسد تعلّقاً من جهة، ومفارقةً من جهة أخرى.

وأما الدار الثانية: وهي دار البرزخ فإنها أوسعُ من دار الحياة الدنيا وأعظم، بل نسبتُها إلى الدنيا، كنِسبة الدنيا إلى رحم الأم، وأحكام الحياة البرزخية على الأرواح والأبدانُ تبعٌ لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والْتذَّت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسبابَ النعيم والعذاب، تَبِعَت الأبدانُ الأرواحَ في نعيمها وعذابها في البرزخ، والأرواح حينئذٍ

هي التي تباشر العذاب والنعيم، فإنَّ الأرواح وإن فارقت الأبدان وتجرَّدت عنها في هذه الدار البرزخية إلَّا أنها لم تفارقها فراقاً كليًا بحيث لا يبقىٰ لها إليها التفاتٌ البتة، بل لها تعلّق بالأبدان على هيئةٍ خاصة، ومما يدل على هذا ما ورد من ردِّ الروح إلى الجسد عند سلام المسلم، وأنه يسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، ونحو ذلك من الأدلة.

وأما الدار الثالثة: وهي دار القرار وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله تعالى ينقل الروح في تلك الدار طبقاً بعد طبق ومرحلةً بعد مرحلة حتى يُبَلِّغها الدار التي لا يصلح لها غيرُها، ولا يليق بها سواها، وهي التي خُلقت لها، وهُيئت للعمل الموصل إليها، وفي هذه الدار يكون تعلُّق الروح بالجسد أكملَ أنواع تعلّقاتها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلّق إليه، إذاً هو تعلُّقٌ لا يقبل البدنُ معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت.

ومن أحاط بهذا الموضع علماً وعرفه كما ينبغي زالت عنه إشكالاتٌ كثيرة، مما يتعلّق بالروح وتعلُّقاتها.

فتبارك الله فاطرُها ومنشئُها، ومميتُها ومحييها، ومسعدُها ومشقيها، الذي فاوت بينها في درجات

سعادتِها وشقاوتِها، كما فاوت بينها في مراتب علوها وأعمالِها، وقُواها وأخلاقِها.

ومن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، الذي له الملك كلُّه، وله الحمد كلُّه، وبيده الخير كلُّه، وإليه يرجع الأمر كلُّه، وله القوة كلُّها، والقدرة كلُّها، والعزُّ كلُّه، والحكمة كلُّها، والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأنَّ الذي جاؤوا به هو الحق الذي تشهد به العقول السليمة، والفِطَر المستقيمة، وما خالفه هو الباطل[1].

المسألة السابعة: هل يعرف الأموات زيارة الأحياء لهم وسلامهم أم لا؟

هذه المسألة بحثها العلَّامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في صدر كتابه «الروح»[2] وقرر أنَّ الميت يعرفُ زائرَه بعينه، ويردُّ عليه السلام، ودل على ذلك.

الأدلة: ما رواه ابن عبدالبر وابن أبي الدنيا عن ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يمر**

(١) انظر: «الروح» (ص١٨١ و٢٩٥ ـ ٢٩٦)، ط. دار ابن كثير، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٥٧٨ ـ ٥٧٩).

(٢) (ص٥٣)، ط. دار ابن كثير.

بقبر أخيه، كان يعرفه في الدنيا فيسلِّم عليه إلَّا ردَّ الله عليه روحه حتى يردَّ عليه السلام»[1] .

وقد شرع النبيّ ﷺ لأمته وعلَّمهم إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**سلامٌ عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية**». رواه الإمام مسلمٌ في «صحيحه»[2] .

وهذا السلام والخطاب والنداء لموجودٍ يسمع ويُخاطَبُ ويعقِلُ ويَرُدُّ، وإن لم يسمع المسلِّمُ الرد، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطابِ المعدوم والجماد والسلام عليه وهذا محال، ولولا أنهم يشعرون بالمسلِّم عليهم لما صحَّ أن يسمَّىٰ زائراً، فإن المَزُورَ إن لم يعلم بزيارة من زارَهُ لم يَصِحَّ أن يقال: زاره.

وقال العلَّامة ابن القيم أيضاً: «والسلف مجمعون

(١) أفاد الحافظ العراقي في تخريجه «إحياء علوم الدين» (٥٢٢/٤) أنَّ ابن عبدالبَرِّ خرّجه في «التمهيد» و«الاستذكار» بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، وممن صححه ـ أيضاً ـ الحافظ عبدالحق الإشبيلي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «الفتاوىٰ» (٣٣١/٢٤): قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبيّ ﷺ، وصححه عبدالحق صاحب «الأحكام».

(٢) رقم (٩٧٤).

على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به»[1] .

تنبيه:

مبنىٰ هذه المسألة على صحة سماع الموتىٰ من عدمه، أي: هل الموتىٰ يسمعون سلام المسلِّم عليهم وكلامه، وهذه المسألة خلافية بين أهل العلم[2]، ولعلَّ القول الأسعد بالدليل هو قول من قال: إن للأموات سماعاً في الجملة، وذلك في الأحوال التي دلَّت عليها النصوص الصحيحة كسماع قرع نعال أهله إذا انصرفوا، وكسماع سلام المسلِّم عليه، ونحوهما، وهذا ما اختاره جمع من أهل العلم المحققين[3] كشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلَّامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والحافظ

(١) انظر: «الآيات البيِّنات في عدم سماع الأموات» للعلَّامة الآلوسي، ومقدمته التمهيدية للعلَّامة الألباني.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٦٣/٢٤)، و«الروح» (ص٥٣ وما بعدها)، و«تفسير القرآن العظيم» (٤٨٢/٣ ـ ٤٨٤) تفسير سورة (الروم)، الآية: ٥٢: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾، و«التذكرة» (١٨٣/١) ـ وانظر للمسألة أيضاً ـ «تفسير أضواء البيان» (٤٢١/٦ ـ ٤٣٩) تفسير سورة (النمل)، الآية: ٨٠: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾.

(٣) انظر: المراجع السابقة، و(ص٧٨) من كتاب «الروح» (بتصرف)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣٦٨/٢٤ ـ ٣٦٩).

القرطبي ـ رحمهم الله ـ وغيرهم من أهل العلم، وأما الكيفية في ذلك فعلمها عند الله تعالىٰ.

وعلى كل حالٍ، وحتىٰ لو قيل بالسماع المطلق للأموات، فإن أرواحهم وأجسادهم في قبورهم لها خصوصية تختلف بها عن حياتهم الدنيا، حيث انقطعوا بموتهم عن التصرف أو التأثير على ما خلَّفوه وراءَهم.

وفي ضوء ذلك: يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم علم اليقين أنَّ دعاء الأموات وسؤالهم والتوسل بهم والنذر لهم مصادمٌ للشرع، وسفهٌ في العقل، أما مصادمته للشرع فلأنه شرك بالله تعالى مخرجٌ من ملَّة الإسلام أو ذريعة إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وأما كونه سفهاً في العقل فهو بالنظر إلى أنَّ الذي يسأل الموتىٰ في قبورهم وأضرحتهم يطلب منهم ـ غالباً ـ

ما لا يقدرون عليه وهم أحياء، أو يطلب منهم ما هو أقدر عليه منهم لأنه حي موجود له اختياره، أما هم فإنهم قد حيل بينهم وبين الدنيا فلا مجال لتصرفهم في شيءٍ منها.

هذا تنبيه مقتضب اقتضاه وجوب بيان هذه المسألة لكثرة من أخطأ فيها ولكونها باباً مُشْرَعاً للوقوع في الشرك ـ والعياذ بالله ـ وأما التفصيل فله محلُّه. واللَّهَ نسأله التوفيق.

المسألة الثامنة: هل تتلاقىٰ أرواح الموتىٰ وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

وهذه المسألة من أمور الغيب التي لا تُعرف إلا من طريق الوحي، وقد جاء من نصوص الكتاب والسنَّة ما يوضحها، وبيان ذلك[1]:

أنَّ الأرواح قسمان: أرواحٌ معذَّبة، وأرواح منعمة.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «واستفاضت الآثار بمعرفة الميت بأحوال أهله وأصحابه في الدنيا وأنَّ ذلك يعرض عليه» انتهى المقصود المختار. انظر: «الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية» للشيخ العلَّامة البَعْلي (ص١٣٥) تحقيق الشيخ أحمد بن محمد الخليل، ط. دار العاصمة بالرياض. وانظر أيضاً: ما أورده الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في «الأضواء» (٦/٤٢١ ـ ٤٣٩).

فأمَّا المعذَّبة فهي في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.

وأما الأرواحُ المنعمةُ المرسلةُ غيرُ المحبوسة فإنها تتلاقىٰ وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل رُوحٍ مع رفيقها ونظيرها الذي هو على مثل عملها.

وروح نبيّنا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]. قال العلَّامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وهذه المعية ثابتة في الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]. والمعنىٰ: ادخلي في جملتهم وكوني معهم، وهذا يقال للروح عند الموت.

وأخبر الله ـ جلَّ وعلا ـ عن الشهداء وما يلقونه بعد استشهادهم فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]. وهذه الآيات تدل على تلاقيهم من ثلاثة وجوه:

الأول: أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، وإذا كانوا أحياءً فهم يتلاقون.

الثاني: أنهم إنما استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم.

الثالث: أنَّ لفظ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفيد في اللغة أنهم يبشِّر بعضهم بعضاً مثل يتباشرون.

ومما يدل على تلاقي أرواح المؤمنين بعد الموت ما صحَّ عند النسائي وابن حبان والحاكم[1] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا حُضِرَ المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضيةً مرضياً عنكِ إلى رَوح الله وريحان، وربٍّ غير غضبان. فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضُهم بعضاً، حتى يأتون به باب السماء،**

(١) «سنن النسائي» (١/٢٦٠)، «صحيح ابن حِبَّان» (٧٣٣ ـ موارد)، «المستدرك» (١/٣٥٢)، وانظر: «الصحيحة» (١٣٠٩).

فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض. فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشدُّ فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه[(١)] فإنه كان في غم الدنيا. فإذا قال: أَمَا أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية[(٢)].

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطةً مسخوطاً عليك، إلى عذاب الله عزَّ وجلَّ. فتخرج كأنتن ريح جيفةٍ، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح. حتى يأتون به أرواح الكفار».

ومن خلال ما تقدم عرضه من أمور الحياة البرزخية وما يتعلق بها يتبين لنا شيء من فظاعة ما نحن قادمون عليه وعظيمه، ومع ذلك فإننا لا زلنا على التقصير في الطاعات والتساهل بارتكاب المنهيات، وقد غرَّنا طول الأمل وفسحةُ الأجل ولعمرو الحق إن هذا لتهورٌ ما بعده تهور، وخسارةٌ ما بعدها ربح ولا جبران، إلا أن يتغمدنا الله برحمته وسابق فضله.

اللَّهم إنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك، اللَّهم فإنَّا

---

(١) وفي رواية: «دعوه حتى يستريح».

(٢) أي: إلى النار.

نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللَّهم ارحمنا ووالدينا وإخواننا المسلمين.

وصلِّ اللَّهم وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





مباحث
في بعض مشاهد القيامة

العرض والحساب وتطاير الصحف

حوض النبيّ ﷺ

الميزان

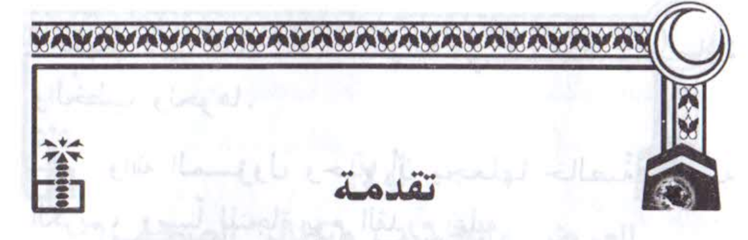
الصراط

القنطرة

بقلم
الفقير لعفو ربه
خالد بن عبدالرحمٰن بن حمد الشايع







تقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلّى الله وسلّم على المبعوث رحمةً للعالمين، نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه بعض المباحث المتعلقة ببعض مشاهد القيامة، كنت قدمتها ضمن البرنامج الإذاعي **(الدار الآخرة: مشاهد وعظات)** عبر إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية، ولرغبة بعض الأفاضل؛ فهذه مجموعة أخرىٰ من جملة تلك المباحث، بعد سابقتها **(مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية)** أقدمها للقرّاء رجاء النفع بها.

وهذه المباحث تتعلق بالصراط والميزان وحوض نبيّنا محمد ﷺ، وليُعلم أني لم أشأ الدخول في التفصيلات المتعلقة بالردود على المخالفين، مع مراعاة الاختصار في العبارات ووضوحها، ولذا فهي نافعة

ومفيدة - إن شاء الله - للقراءة في المجالس العامة والخُطب ونحوها.

والله المسؤول وحده أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وسبباً للنجاة يوم القدوم عليه.

اللَّهم اغفر لي ولوالديَّ وارحمهما كما ربياني صغيراً، اللَّهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار، وصلِّ اللَّهم وسلِّم على نبيّنا محمد.

وكتب: الفقير لعفو ربه
خالد بن عبدالرحمن بن حمد الشايع
ص.ب. ٥٧٢٤٢
الرياض ١١٥٧٤
فجر يوم الاثنين ١٤٢٠/٢/٣٠هـ

أولاً:
العرض والحساب وتطاير الصحف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في «العقيدة الواسطية»:

«وتُنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، ويحاسب الله الخلائق فيخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وُصِفَ ذلك في الكتاب والسنَّة. وأما الكفار فلا يحاسَبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعدُّ أعمالهم فتحصىٰ فيوقَفون عليها، ويقررون بها ويُجزون عليها». اهـ.

ونشر الدواوين وهي صحائف الأعمال: يكون بفتحها وبسطها، واطلاع الناس على ما فيها ليكون ذلك

أي: يستقصى في المطالبة بالجليل والحقير، والصغير والكبير، ولا يسامَح في شيء من ذلك، فيكون مصيره العذاب والهلاك، وهؤلاء هم المكذِّبون المعرضون، أما المؤمنون المتقون فإن محاسبتهم تكون بعرض أعمالهم عليهم حتى يعرفوا منَّة الله عليهم في سترها عليهم في الدنيا وفي عفوه عنهم في الآخرة.

نبَّهَ لهذا المعنى الحافظ القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم»(1).

ومما يوضحه ـ أيضاً ـ ما خرّجه البخاري ومسلم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة، حتى يضع عليه كَنَفَهُ، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف.** [وفي رواية البخاري: **أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك**] **قال: فإني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائق الذين كذبوا على الله،** [وفي رواية البخاري: **فيقول:**

(1) (١٥٧/٧ ـ ١٥٨) وانظر: «فتح الباري» (٤٠٢/١١ ـ ٤٠٣).

﴿ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]](1)».

وفي «المسند» عن أم المؤمنين ـ عائشة رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللَّهم حاسبني حساباً يسيراً**». فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «**أن يُنْظرَ في كتابه فَيُتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحسابَ يا عائشةُ يومئذٍ هلك**». قال الحافظ ابن كثير: صحيح على شرط مسلم(2).

وفي شأن العَرض وإعطاء الصحف:

روي في «جامع الترمذي» عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضَات: فعرضتان جدالٌ ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتي**

(1) «صحيح البخاري» (٢٤٤١)، كتاب المظالم، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨] وشرحه في (٧٥١٤)، كتاب التوحيد، باب: كلام الربِّ تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٨)، كتاب التوبة، باب: توبة القاتل وإن كثر قتله.

(2) «تفسير ابن كثير» (٥١٧/٤).



بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٧]، يعني: موتة لا حياة بعدها، فتمنى الموت حينئذٍ ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، وأخبر تعالى عن عظم تحسر المكذب المعرض وأنه يقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذابَ الله وبأسه، بل خلص الأمر إليَّ وحدي فلا معينَ لي ولا مُجيرَ، وعندها يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١]، أي: يأمر بالزبانية أن تأخذه عُنفاً من المحشر فتغلّه، أي: تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فتصليه إياها، أي: تغمره فيها.

ومن العذاب الذي يناله ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٢]، والسلسلة معروفة، الحلقة فيها تتصل بالحلقة، لكنها في الآخرة عظيمة، الله أعلم بقدرها، لا أرانا الله إياها، فيسلك فيها، أي: تدخل من أسفله إلى أعلاه بما يكون به عذابه، نسأل الله السلامة، وبيَّن الله لنا سبب شقاء من كان على تلك الحال الفظيعة، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة: ٣٣، ٣٤]، أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته،

ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى[1].

ومما أنشده عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ[2]:

فكيف قرَّت لأهل العِلْم أعْيُنُهم
أو اسْتَلَذُّوا لذيذَ النَّومِ أو هَجَعُوا
والنَّارُ ضَاحِيَةٌ لا بُدَّ مَورِدُهَا
ولَيس يَدْرُونَ مَن يَنْجُو ومَن يَقَعُ
وطَارَتِ الصُّحُفُ في الأيدي منشَّرةً
فيها السرائرُ، والجَبَّارُ مُطَّلِعُ
إمَّا نعيمٌ وعَيشٌ لا انقِضَاءَ لَهُ
أو الجَحِيمُ، فلا تُبقِي ولا تَدَعُ
تهوي بِسَاكِنِها طوراً وترفَعُهُ
إذا رَجَوا مَخْرَجاً من غمِّها قُمِعُوا
[طَالَ البُكَاءُ فلم يُرحَمْ تَضرُّعُهم
فيها، ولا رقةٌ تُغني ولا جَزَعُ]

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٣٨ ـ ٤٤٠) بتصرف يسير واختصار.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/٤١٣)، والبيت قبل الأخير من «شرح الطحاوية» (ص٦٠٤).



لِيَنْفَعَ العِلمُ قَبْلَ المَوتِ عَالِمَهُ
قد سَالَ قومٌ بها الرُّجعىٰ فما رجعوا

نسأل الله الجواد الكريم الرحمٰن الرحيم أن يلطف بنا يوم العرض عليه، وأن يجعلنا من الآمنين الفائزين السعداء بمنّه وكرمه نحن ووالدينا وإخواننا المسلمين.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

ثانياً:
الحوض

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «العقيدة الواسطية»[(١)]:

«وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبيّ ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً». اهـ.

وهذا الذي أجمله شيخ الإسلام ابن تيمية دلّت عليه نصوص كثيرة بما يوجب الإيمان به إيماناً قاطعاً.

قال العلّامة ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر،

(١) مع شرحها: «الروضة الندية» (٣٣٤) لشيخنا العلّامة زيد الفياض ـ رحمه الله ـ.

مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل إن شاء الله**». قلت: فأين أطلبك؟ قال: «**أول ما تطلبني على الصراط**». قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**». قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن**».

قال القرطبي في «المفهم»[1]: وكأنه ﷺ لا يفارق أصحابه، ولا أمته في تلك الشدائد سعياً في تخليصهم منها، وشفقة عليهم، جزاه الله خير ما جزىٰ نبياً عن أمته ﷺ، ولا حال بيننا وبينه في تلك المواطن.

وفي «صحيح البخاري»[2] عن عبدالله بن عمرو، قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**».

وفي رواية الإمام أحمد: «**حوضي كما بين عدن وعَمَّان أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء**». الحديث

---

(١) (٦/٩٩).

(٢) رقم (٦٥٧٩)، كتاب الرقاق، بابٌ: في الحوض.

صححه الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ وغيره[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة، المصحية، آنيةُ الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة[3]، وماؤها أشد بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل**».

وفي «صحيح البخاري» و«مسلم» والسياق له عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تَرِدُ عليَّ أمتي الحوض وأنا أَذُودُ الناس عنه، كما يذود الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبلِهِ**». قالوا: يا نبيّ الله، تعرفنا؟ قال: «**نعم، لكم سيماً ليست لأحدٍ غيركم، تردون غراً محجلين من آثار الوضوء، وليُصَدَّن عني طائفةٌ منكم، فلا يَصِلون، فأقول: يا ربِّ! هؤلاء من أصحابي**».

---

(١) «المسند» (٩/٢٠) رقم (٦١٦٢).

(٢) رقم (٢٣٠٠)، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفاته.

(٣) أيلة ـ بالفتح ـ: مدينة على ساحل بحر القُلْزُم [الأحمر] مما يلي الشام. انظر: «معجم البلدان» (١/٢٩٢) للحموي.

فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

قال شارح «الطحاوية»[2] الإمام ابن أبي العز الحنفي: «والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم، وموردٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر». اهـ.

وهاهنا تنبيه إلى أنَّ ما جاء من اختلاف الألفاظ في تقدير أبعاد الحوض هو اختلاف زماني راجع إلى نوع السير الذي قدر به الزمن هل هو سير سريع أم بطيء[3].

وبالنسبة لمكان الحوض من أرض الحساب يقول الحافظ القرطبي في «التذكرة»: «ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أنَّ الحوض يكون على وجه هذه

---

(١) «البخاري» (٦٥٨٥)، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، و«مسلم» (٢٤٧)، كتاب الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٢) (ص٢٨٠، ٢٨١).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٤٧٢/١١)، و«المفهم» (٩٥/٦)، و«التذكرة» (ص٣٧٠، ٣٧١).

الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مساحة هذه الأقطار، أو في المواضع التي تكون بدلًا من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، كما تقدم، تطهر لنزول الجبار جلَّ جلاله لفصل القضاء». اهـ[1].

وهل يكون الحوض قبل الصراط أم بعده؟

وهل هو قبل الميزان أم بعده؟

رجَّح القرطبي في «التذكرة» تبعاً لغيره، أنَّ الحوض يكون قبل الميزان ثم الميزان ثم الصراط.

قال: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فهم أحوج ما يكونون لري عطشهم.

واختار العلَّامة ابن القيم القول بأن الحوض قبل الصراط وبعده، وقال: إذا كان الحوض بهذا الطول والسعة، طوله شهر وعرضه شهر، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده[2].

---

(١) انظر: «التذكرة» (ص٣٧١).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٦٨٣/٣)، و«التذكرة» (ص٣٦٨).

وهاهنا مسألة أخرىٰ هي:

هل لأحدٍ من الأنبياء غير نبيّنا ﷺ حوض يوم القيامة؟

بيان ذلك فيما يلي:

روىٰ الترمذي[1] من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لكل نبيّ حوضاً ترده أُمَّتُه، وإنهم ليتباهون: أيهم أكثر واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة».

قال الترمذي: حديث غريب، وقد روىٰ الأشعث بن عبدالملك هذا الحديث عن الحسن عن النبيّ ﷺ مرسلاً، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح[2].

وقد مال الشيخ العلامة الألباني إلى تحسينه أو تصحيحه بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة»[3].

---

(١) «الجامع» (٣/٢٩٩ ـ ٣٠٠) رقم (٢٤٤٥) صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة الحوض.

(٢) في سنده عللٌ ثلاث: الأولىٰ: الإرسال. الثانية: عنعنة الحسن البصري، فإنه كان مدلساً ولا سيما عن سمرة. والثالثة: سعيد بن بشير ـ وهو الأزدي ـ مولاهم. ضعيف كما قال في «التقريب». وانظر ما يأتي من كلام الشيخ الألباني.

(٣) رقم (١٥٨٩) (٤/١٢٠).

وعلّق الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري»[1] على هذا الحديث بقوله: «إن ثبت فالمختص بنبيّنا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائِهِ في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة». اهـ.

وفي ضوء ما تقدم: نأتي الآن إلى موضع العبرة والتفكر، وهو: مَنْ منا يا ترى سيرد حوضه ﷺ، ومن سيذاد عنه؟!

أما الواردون لحوضه ﷺ الشاربون منه فهم أتباعه ﷺ أهل السنَّة والأثر المقتفون لهديه، هؤلاء هم أولىٰ الناس بنيل تلك المنقبة العظيمة.

أما من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعَدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم أو آذىٰ نبيّ الله بسب زوجاته وصحابته كالخوارج على اختلاف فرقهم وتباين ضلالهم، وخاصة الروافض أعداء سُنَّة رسول الله ﷺ، وأعداء أبي بكر وعمر وعثمان، الروافض الذين غلوا في صهر رسول الله ﷺ عليٍّ ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ

---

(١) (١١/٤٦٧).

وجاء النصُّ على الميزان بما يوجب الإيمان به، في قوله تعالى من سورة (الأعراف): ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

وحيث أنَّ المبتدِعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أنكروا الميزان، وزعموا أنه عبارةٌ عن العدل، مخالفين بذلك الكتاب والسنَّة، نصَّ أئمة أهل السنَّة والجماعة على الميزان في مصنفاتهم، وأوضحوا أنه حقٌ يجب الإيمان به، كما صنع الأئمة أحمد واللالكائي وابن أبي زمنين وابن أبي عاصم وعبدالقاهر البغدادي وابن بطة العكبري وابن تيمية وابن ناصر الدين وغيرهم ـ رحم الله الجميع ـ.

ومن الأدلة في ذلك ـ أيضاً ـ ما رواه الترمذي وابن ماجه[1] وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص

(١) «جامع الترمذي» (٢٦٣٩)، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله، و«سنن ابن ماجه» (٤٣٠٠)، كتاب الزهد، باب: ما يُرجى من رحمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة. وهو حديثٌ صحيح.

ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلًا، كل سجل بمثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَكَ عذرٌ؟ فقال: لا يا رب. فيقول: بل إنَّ لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

وفي هذا الحديث ما يبيِّن فضل الإخلاص وتحقيق التوحيد للرب سبحانه، فإن هذه البطاقة لكل مسلم، ومع ذلك فمنهم من يدخل النار لخلل في تكميلهم لها، ولكن لمَّا كان ذلك الرجل المذكور في هذا الحديث قد قام بحقوق التوحيد وحماه من شوائب الشرك عظمت بطاقته، وثقلت بتلك السجلات العظيمة.

ومن فقه الإمام العلَّامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إيراده هذا الحديث في كتاب «التوحيد» وبوَّب عليه: بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

في تفسيره[1]، والعلَّامة ابن أبي العز الحنفي في شرحه «العقيدة الطحاوية» السلفية[2].

وقال سماحة شيخنا العلَّامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[3]: «الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة»[4].

قال الحافظ القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتابه «التذكرة»[5]: قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن

(١) (٢/٢٢٦).

(٢) (ص٦٠٩ ـ ٦١١).

(٣) بينما كنت أصحح طباعة هذه الرسالة فُجعت أمة الإسلام بوفاة شيخنا الإمام عبدالعزيز بن باز في هذا العام ١٤٢٠هـ، فجر يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم بمدينة الطائف وله من العمر تسعة وثمانون عاماً. فنسأل الله له الرحمة وأن يُحلَّه الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يخلف على الأمة فيه خيراً، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

(٤) تعليق سماحته ـ رحمه الله ـ على «العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ عبدالرحمٰن السعدي ـ رحمه الله ـ (ص٧١).

(٥) (ص٣٧٧).

لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهل يكون الوزن لكل الناس: السعداء والأشقياء؟

هذا هو ظاهر النصوص الواردة كما اختاره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ وقال: «وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجحةً لإظهار شرفهم على رؤوس الأشهاد، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم، وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم يكن لهم حسنات تنفعهم ويقابل بها كفرهم، لإظهار شقائهم وفضيحتهم، على رؤوس الأشهاد»[1].

ومما جاء فيما يبيِّن عظم الميزان: ما رواه الحاكم في «المستدرك»[2] عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا**

(١) «النهاية» (٢/١٣٠)، وقارن بذلك: «مجموع الفتاوى» (٦/٤٨٦) حيث نبَّه شيخ الإسلام إلى وقوع الخلاف في حساب الكفار ثم وضَّح الإشكال بحسب الاعتبار من جهة الإحاطة بالأعمال وكتابتها أو وزن الحسنات والسيئات... إلخ. وينظر أيضاً: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/٦٥) لأبي محمد بن حزم، و«تفسير القرطبي» (١١/٦٦).

(٢) (٤/٥٨٦).

رب! لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك...» الحديث. صححه الشيخ الألباني[(١)].

وبما تقدم يتبين مشهد من المشاهد التي سيوافيها الناس يوم القيامة، ألَا وهو الميزان، والواجب على المسلم والمسلمة الإيمان به وفق ما جاءت به النصوص الشرعية، كما ألمحنا إلى ذلك آنفاً. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فأما الميزان المذكور في يوم القيامة فقد تواترت [به] الأحاديث وهو ظاهر القرآن[(٢)].

قال العلّامة ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ بعد أن أورد النصوص الواردة في الميزان: «فثبتَ وزن الأعمال والعاملِ وصحائفِ الأعمال، وثبت أنَّ الميزان له كفَّتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرَنا الصادق المصدوق ﷺ من غير زيادةٍ ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضعَ الموازينَ القسط ليوم القيامة، كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلَّا البقّال والفوّال!! وما أحراه بأن يكون

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/٦٥٦) رقم (٩٤١).

(٢) «النهاية» (٢/١٣٠).

من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلَّا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحدَ أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراءَ ذلك من الحِكم ما لا اطلاع لنا عليه»[(١)]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب»[(٢)]. اهـ.

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي ـ رحمه الله ـ: ونصبُ الميزان الحق يوم القيامة بين الخلق لفوائد عظيمة، وحِكَم بهية اقتضتها الحكمة الإلٰهية، مع علم الله العليم الخَبير، بمقادير الأعمال الصغير والكبير، لا يغيب عن نظره غائب، ولا يفوته هارب، ولا يؤوده حفظ ما خَلق وهو رب العرش العظيم، ولا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، وإنما الحكمة في وزن أعمال العباد أنَّ ذلك لامتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وقيل: لإظهار علامة السعادة والشقاوة يوم القيامة، وقيل: ليعرف العباد

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص٦١٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/٣٠٢).

ما لهم من خيرٍ وشر، وقيل: لإقامة الحُجة عليهم، وقيل: للإعلام بأن الله ـ جلّ جلاله ـ عادلٌ لا يظلم مِن خلقه أحداً متفضلٌ يُربي الحسنات لصاحبها ويضاعفها[١].

والميزان وعرض الناس عليه أمر عظيم يذهل العقول ويفزع النفوس، يوضح هذا ما رواه أبو داود[٢] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ذكرتُ النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**». قلت: ذكرت النار، فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يعلم أَيَخِفُّ ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه: في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضع على ظهرَيْ جهنم [حتى يجوز]**».



(١) «منهاج السلامة في ميزان القيامة» (ص١١٩، ١٢٠) بتحقيق الشيخ مشعل بن باني الجبرين المطيري.

(٢) «سنن أبي داود» (٤٧٥٥) في السنّة: باب ذكر الميزان.

رابعاً: الصراط

١ ـ نصب الصراط على متن جهنم

الصراط هو: الجسر المنصوب على متن جهنم حيث يمر الناس عليه.

فبعد مفارقة الناس للموقف يمرون على ذلك الصراط، وحشرُهم وحسابُهم يكون قبل الصراط، فإن الصراط عليه ينجون إلى الجنة، ويسقط أهل النار فيها، كما ثبت في الأحاديث[١].

ومما جاء من الأدلة في إثبات الصراط والمرور عليه:

(١) ينظر: «مختصر فتاوى ابن تيمية» (ص٢٠٢)، و«الروضة الندية» لشيخنا العلّامة زيد الفياض ـ رحمه الله ـ (ص٣٤٠).

قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وقد ذكر جمع من المفسرين أنَّ المراد بهذا المرور على النار، فيصدر المؤمنون ويجاوزونها بحسب أعمالهم ويسقط فيها من لم يحمله عمله على الجواز، أما الكفار فيقحَمون في النار ويكردَسون فيها بعد حشرهم إليها.

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية:

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أي: إذا مَرَّ الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نجَّى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيّون والمؤمنون، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا داراتُ وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجُهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، ولا يبقىٰ في النار إلَّا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن

رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[١]. اهـ.

ومما جاء من الأحاديث في إثبات الصراط:

ما رواه البخاري - رحمه الله - في «صحيحه»[٢] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديث طويل في شأن الرؤية، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**ويُضرَبُ جسْرُ جهنم، فأكونُ أولَ من يُجيز، ودعاء الرسل يومئذٍ اللَّهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**». قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله، ثم ينجو...**» إلخ الحديث.

وبوّب عليه البخاري - رحمه الله - في كتاب الرقاق من «صحيحه» فقال: بابٌ: الصراط جِسْرُ جهنم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - في وصف المرور على الصراط - قال: قال رسول الله ﷺ: «**وترسل الأمانة والرحم، فتقوم على جَنَبتَي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق**». قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق**

---

(١) ينظر «تفسير ابن كثير» (٥/٢٥٦ - ٢٥٧)، ط. سامي السلامة.

(٢) رقم (٦٥٧٣).

كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كَمَرِّ الريح، ثم كَمَرِّ الطير وشد الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً». قال: «وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أُمِرَت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»[١].

وفي ختام هذا الفصل نأتي ـ أيها القارىء الكريم ـ على موضع العظة والعبرة التي تمثلت في أحوال السلف الصالح، حيث كانت الآخرة هي همَّهم الأول وشغلهم الشاغل فأسهرت ليلهم وعكَّرت صفو عيشهم، وعلموا ألَّا راحة إلَّا بالاستقرار في دار النعيم.

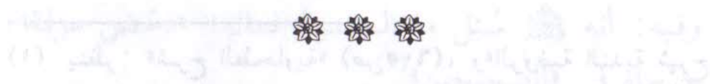
فها هي أم المؤمنين تبكي بين يدي النبي ﷺ، فسألها عن بكائها حيث لم يَرَ في ظاهر الأمر ما استدعىٰ بكاءها، فقالت ـ رضي الله عنها ـ: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يعلم**

(١) «صحيح مسلم» رقم (١٩٥)، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلةً فيها.

أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه: في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرَي جهنم حتى يجوز». رواه أبو داود[١]. وفي رواية: «**الزالُّون والزَّالَّات يومئذٍ كثير**». رواها إسحاق بن راهوية[٢].

ويروي عبدالرزاق في «مصنفه»[٣] عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبدالله بن رواحة واضعاً رأسه في حِجر امرأته، فبكىٰ، فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ فقالت: رأيتك تبكي فبكيت. قال: إني ذكرت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فلا أدري أنجو منها أم لا؟

وروىٰ ابن جرير الطبري أن أبا ميسرة العابد كان إذا أوىٰ إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني. ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أُخبرنا أنَّا واردوها، ولم نُخبر أنَّا صادرون عنها[٤].



(١) «سنن أبي داود» (٤٧٥٥) كتاب السنّة، باب: ذكر الميزان.

(٢) «المسند» رقم (١٣٤٩).

(٣) (١١/٢).

(٤) «جامع البيان» (١٦/١١٠)، ط. الحلبي.



٢ ـ وصف الصراط

الصراط هو: الجسر الذي يمر عليه الناس فوق النار؛ ليعبروا بواسطته من أرض المحشر إلى الجنة[١].

النصوص الشرعية الدالة على وصف الصراط:

١ ـ أنه مَمَرٌّ مخوفٌ مرعب، حتى إنه يمنع الناس من الكلام بأي شيء، إلَّا الرسلُ عليهم السلام، وكلامهم حينئذٍ: «**اللَّهم سَلِّم سَلِّم**».

ودليل هذا ما خرَّجه الشيخان البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في حديث طويل، عنه ﷺ قال: «. . .**ويضرب جسر جهنم**». قال رسول الله ﷺ: «**فأكونُ أوَّلَ من يُجيز، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللَّهم سلِّم سلِّم. . .**» الحديث.

٢ ـ ومن صفات الصراط: أنه حادٌّ دقيقٌ جدًّا.

يدل على هذا، قول أبي سعيد الخدري

(١) ينظر: «شرح الطحاوية» (ص٦٠٥)، و«الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» (ص٣٤٠) لشيخنا العلَّامة زيد بن عبدالعزيز الفياض ـ رحمه الله ـ ط. دار الوطن ١٤١٤هـ.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٧٣)، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، و«صحيح مسلم» (١٨٢)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

ـ رضي الله عنه ـ كما في رواية مسلم[١]: «**بلغني أنَّ الجسر أدق من الشَّعر وأحدُّ من السيف**».

وهذا له حكم الرفع إلى النبيِّ ﷺ إذ لا مجال للاجتهاد فيه لكونه من أمور الغيب.

وقد يستعظم بعض الناس هذا الأمر، ويقول: هل يُعقل أن تلك الأعداد المهولة المتكاثرة من الناس تعبر على الصراط وهذه صفته؟

والجواب عن هذا: أنَّ قدرة الله تعالى فوق كل شيء، فالذي أمشىٰ عباده في الدنيا على ما هو معلوم، قادر على أن يجعل مشيهم في الآخرة على نسق آخر، ثم إن الآخرة لها أحكامها الخاصة بها، وهذا يدل على عظم شدة ذلك اليوم وكربه العظيمة، والمؤمن الحق يؤمن ويسلم بما دلَّت عليه النصوص الشرعية.

٣ ـ ومن صفات الصراط: أنه زَلِقٌ لا تثبت عليه الأقدام، إلَّا من ثَبَّتَهُ الله.

دلَّ على هذا حديث أبي سعيد المذكور قريباً.

وفيه: أنه ﷺ سُئِلَ ما الجسر؟ فقال: «**دَحْضٌ مزلة**».

خرَّجاه في «الصحيحين»[٢].

(١) رقم (١٨٣)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٧٣)، «صحيح مسلم» (١٨٢)، وقد تقدم قريباً.



٤ ـ ومن صفات الصراط: أنَّ عليه كلاليب وخطاطيف وحسك عظيمة تخطف من أُمِرَت به.

والمعنى: أن الصراط علقت به الكلاليب والخطاطيف، وقد عرَّفها العلماء بأنها الحديدة المعقوفة الرأس ليعلق بها اللحم ونحوه، أما الحسك، وهي جمع، واحدتها حَسَكَةٌ وهي شوكة صُلبة معروفة.

يدل على هذا قوله ﷺ في وصف الصراط: «**فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَك تكون بنجد فيها شويكة، يقال لها السَّعْدان**». خرّجاه في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ.

غير أنَّ هذه الكلاليب الخاطفة والشوك المستديرة ليست مماثلة في حجمها لما يماثلها في الدنيا، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «**غير أنه لا يعلم قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله**». رواه البخاري[(٢)].

٥ ـ ومن صفات الصراط: كونه يموج بمن مشىٰ عليه، إلَّا من ثَبَّته الله تعالى.

وهذا من لازم وصفه بالزلل والدحض، ومما يؤيد

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٧٣)، «صحيح مسلم» (١٨٢). وقد تقدم.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٧٣).

هذا الوصف ويدل عليه، ما رواه الإمام أحمد في «المسند»[(١)] وغيره عن أبي بكرة عن النبيّ ﷺ قال: «**يُحمَلُ الناس على الصراط يوم القيامة، فتقارَعُ بهم جنبتا الصراط تقارُعَ الفَرَاش في النار، فينجّي اللَّهُ تبارك وتعالى برحمته من يشاء...**» الحديث.

والمعنىٰ: أنَّ الناس حين مرورهم على الصراط يتهافتون منه سقوطاً في النار، كما تتهافت الفراش على النور أو النار، ويتساقطون فيها إلَّا من ثبّته الله تعالى.

٦ ـ ومما جاء في وصف الصراط: أنَّ الأمانة والرَّحِم تُوقفان على جنبتيه يوم القيامة للشهادة على من رعاهما أو ضيَّعهما.

دلَّ على هذا ما رواه مسلم[(٢)] عن أبي هريرة وحذيفة ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **وترسل الأمانة والرَّحِم، فتقومان جنبتَي الصراط يميناً وشمالاً...**» الحديث.

والمعنى: أنَّ الرحم والأمانة لعظم شأنهما، وكبير موقعهما، وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما،

(١) «المسند» (٥/٤٣).

(٢) «صحيح مسلم» (١٩٥)، كتاب الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلةً فيها.

تصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى، وتوقفان هنالك على جنبتي الصراط للأمين والخائن، وللواصل والقاطع، فتحاجان عن المحق، وتشهدان على المبطل[1].

وجاء في بعض النصوص ما يمكن أن يستدل به على أنَّ الصراط مظلم، وأنَّ قبله ظلمة أيضاً، وهنالك يعطىٰ من في ذلك الموضع نوراً بحسب إيمانه، ومما يمكن أن يستدل به على هذا ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه»[2] عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أنَّ حَبراً من اليهود سأل النبيّ ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ قال ﷺ: «**هم في الظُّلمة دون الجسر**. .» الحديث.

وقد جمع الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ بين هذا الحديث وما خرّجه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سألت النبيّ ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ قال: «**على الصراط**».

---

(١) ينظر: «فتح الباري» (١١/٤٥٣).

(٢) رقم (٣١٥) كتاب الحيض، باب: بيان صفة منيّ الرجل والمرأة وأنّ الولد مخلوق منهما.

قال ابن رجب: ويمكن الجمع بين الحديثين بأنَّ الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يقع تبديل الأرض والسماوات، وطيّ السماء من حين وقوع الناس في الظلمة، وعند ذلك إلى حال المرور على الصراط. والله أعلم. اهـ. كلام العلَّامة ابن رجب[1].

وبهذا أيها القارىء الكريم نكون قد بيَّنا بعض دلالات النصوص الواردة في وصف الصراط. فنسأل الله الجواز والسلامة والنجاة.

❁ ❁ ❁



٣ ـ مَنْ الذين ينصب لهم الصراط

مَن هم الذين ينصب لهم الصراط؟ هل هم جميع المكلَّفين كفاراً ومنافقين ومسلمين؟ أم أنَّ الكفار يُكفؤُون في جهنم ويُدفعون إليها بعد حشرهم دون مرور على الصراط؟

بكل من القولين قال طائفة من أهل العلم.

وللعلَّامة الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ تحرير وجيه في هذه المسألة حيث قال:

---

(١) «التخويف من النار» (ص٢٣٥)، ط. دار البيان.

«واعلم أنَّ الناس منقسمون إلى مؤمنٍ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشركٍ يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط، ويدل على ذلك ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: **«يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فيتَّبعه. فيتَّبع الشمسَ من يعبدها، ويتَّبع القمر من يعبد القمر، ويتَّبع الطواغيت من يعبد الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها»**. فذكر الحديث إلى قوله: **«ويضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه»**[1].

وفيهما ـ أيضاً ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبيِّ ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّنٌ لِتتبَعْ كل أمةٍ ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ أحدٌ كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر وغُبَّر أهل الكتاب[2]، فيدعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرَ ابن الله. فيقال لهم:**

(1) «صحيح مسلم» (١٩٤)، كتاب الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلةً فيها.

(2) أي: بقاياهم.

كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يحطِمُ بعضُها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعىٰ النصارىٰ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولد. فيقال لهم: فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلَّا من كان يعبد الله تعالى من بَرٍّ وفاجرٍ، أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنىٰ صورةٍ من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تَتْبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ. **حتى إنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيُكشف عن ساق، فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون:**

أنت ربنا. **ثم يضرب الجسر على جهنم**. . .» وذكر الحديث[1]، وعند البخاري في رواية: «**ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب، فيقول لليهود: ما كنتم تعبدون؟**» وذكر الباقي بمعناه.

فهذا الحديث صريح في أنَّ كُلَّ من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار، قبل نصب الصراط، إلَّا أنَّ عبَّاد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فتردُ النار مع معبوديها أولاً، وقد دلَّ القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى ـ في شأن فرعون ـ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وأما من عَبَدَ المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يَرِدُون في النار بعد ذلك.

وقد وَرَدَ في حديث آخر أنَّ من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعون، وكذلك من يعبد العزير، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٣٩) كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، «صحيح مسلم» (١٨٣)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

صورة المسيح وملك على صورة العزير ولا يبقىٰ بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواءً كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين. اهـ. كلام الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ[1].

وتبين بما تقدم أنَّ الأمم الكافرة تُقْحَمُ في الجحيم دون مرور على الصراط، فالصراط إنما ينصب للمؤمنين بما فيهم العصاة، وينصب أيضاً للمنافقين.

والحديث الذي أورده الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ هو حديث الشفاعة، وهو متضمن لكثير من الفوائد، وما ورد فيه من صفات الرب ـ سبحانه ـ فإنَّ مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين فيها وفيما جاء في باب الأسماء والصفات هو إثباتها للرب سبحانه كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له نبيُّهُ محمد ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

❀ ❀ ❀

(١) «التخويف من النار» (ص٢٣٥ ـ ٢٣٨)، ط. دار البيان.

٤ ـ أول الناس جوازاً على الصراط

البحث هنا حول مرور الناس على الصراط من جهة سرعتهم والأعمال المهيئة لذلك، والأعمال التي تسبب الحبس على الصراط.

فأول من يُجيزُ[1] الصراط هو نبيّنا محمد ﷺ لمقامه وقدره وشرفه عليه الصلاة والسلام، وأول الأمم مُضيًا على الصراط وجوازاً له هي أمته ﷺ، دلَّ على هذا ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«ويضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم، فأكون أولَ من يجوز من الرسل بأمته»** وهذا لفظ البخاري[2]، وفي لفظ آخر له ـ أيضاً ـ: **«فأكون أولَ من يُجيزُ»**[3]. وفي لفظ آخر ـ أيضاً ـ: **«فأكونُ أنا وأمتي أوّلَ مَنْ يُجيزُها»**[4].

(١) «شرح صحيح مسلم للنووي» (١/٤٣٠) حيث ضبطها بضم الياء وكسر الجيم.

(٢) رقم (٨٠٦) كتاب الأذان، باب: فضل السجود، «صحيح مسلم» (١٨٢)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

(٣) رقم (٦٥٧٣) كتاب الرقاق: باب الصراط جسر جهنم.

(٤) رقم (٧٤٣٧) كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

أما أول الناس إجازة على الصراط، فهم فقراء المهاجرين، دلَّ على هذا ما رواه مسلم في «صحيحه»[1] أنَّ النبيّ ﷺ سئل: من أول الناس إجازة على الصراط؟ فقال: **«فقراء المهاجرين»**.

أما أول زمرة تجوز الصراط وتعبره إلى الجنة ـ ولعلك أخي القارىء الكريم قد تشوقت إلى معرفتهم وتشوفت للعلم بوصفهم، فهاك خبرهم فإن خبرهم عجيب وله شأن عظيم، حدَّث به الصادق المصدوق ﷺ، إذ قال: **«نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فيدعىٰ بالأمم بأوثانها وما كانت تعبد: الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ بعد ذلك فيقول ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا ـ عزَّ وجلَّ ـ. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليه»**. قال: **«فيتجلّىٰ لهم ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو يضحك، ويعطي كل إنسان منهم منافقٍ ومؤمنٍ نوراً، وتغشاه ظلمة، ثم يتبعونه معهم المنافقون على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك، يأخذون من شاء،** [وفي رواية: **تأخذ الكلاليب من شاء**]، **ثم يطفأ نور المنافقين وينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً، لا**

(١) (١/٢٥٢) كتاب الحيض، باب: بيان صفة منيّ الرجل والمرأة وأنَّ الولد مخلوق من مائهما. رقم (٣١٥).



يحاسَبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك حتى تحل الشفاعة. . .» الحديث. رواه مسلم والإمام أحمد واللفظ له[1].

فهؤلاء هم أول الناس إجازة على الصراط يوم القيامة، فلا يحزنهم الفزع ولا يقلقهم أنهم أول الناس جوازاً، وهم سبعون ألفاً على تلك الصفة في النور عند المرور، أما حالهم ووصفهم في الدنيا وكيف كانت سيرتهم، فدونك خبرهم على لسان المعصوم ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام لمَّا أخبر عن هؤلاء السبعين ألفاً بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، صار ذلك حديث الناس رغبةً في اللحاق بهم، فَفصَّل عليه الصلاة والسلام ذلك التباحث مبيناً صفاتهم فقال ﷺ: **«هم الذين لا يَستَرْقُونَ، ولا يكتوون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»** رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) «صحيح مسلم» (١٧٧/١) رقم (١٩٩)، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، «المسند» (٣٤٥/٣) رقم (١٤٧٦٣)، وانظر كلام الحافظ ابن رجب في «التخويف من النار» في توجيه رواية مسلم عند اللفظة الغريبة (على كذا وكذا انظر أي ذلك).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٦٥٤١) كتاب الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، و«صحيح مسلم» رقم (٤٢٠) في الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

والجامع في صفات هؤلاء السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وكونهم قبل ذلك يمرون على الصراط سالمين مسلَّمين هو أنهم حققوا توحيد الرب سبحانه، فأخلصوا عبادتهم وأعمالهم لله وخلَّصوها من شوائب الشرك والبدع.

ولو أردنا أن نقف على موضع العبرة عند هذا المبحث فإن الناظر في مدى تحقيق كثير من الناس للتوحيد فإنه يلحظ إخلالًا كبيراً لفشو أنواع من الشرك والبدع والمعاصي في كثير من البلاد اليوم.

وخاصة ظهور كثير من مظاهر الشرك الأصغر وتساهل الناس به ففشا وكثر في مجال الاعتقادات والأعمال والألفاظ نسأل الله العافية والسلامة لنا ولإخواننا المسلمين، وذلك يوجب على أهل العلم وعموم المسلمين أن يعنوا بمسائل التوحيد ويتدارسوها فيما بينهم لشدة الحاجة إلى ذلك، والله المستعان.

وبعدُ، فلنختم هذا المبحث بشيء من أخبار السلف واستعظامهم للمرور على الصراط.

فقد جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. بكىٰ، ويقول: رَبِّ، أنا ممن تنجي أم ممن تذر فيها جثياً؟!

وكان أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله ـ يقول لامرأته: يا أم مسلم، شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر. ومراده ـ رحمه الله ـ حثُّها على الاستعداد للمرور على الصراط بالأعمال الصالحة إذ لا طريق غير الصراط لمجاوزة الجحيم، ولا يمكن الجواز إلَّا بالأعمال الصالحة[1].

وأنشد بعضهم:

أمامي موقفٌ قُدَّام ربي
يَسْألني ويَنْكَشِفُ الغِطَاءُ
وحَسْبي أنْ أمُرَّ عَلَىٰ صِرَاطٍ
كَحَدِّ السَّيفِ أسْفَلُهُ لَظَاءُ

فنسأل الله الجواد الكريم أن ينجينا من النار بفضله وكرمه، وأن يجعلنا ممن يردُها سالماً ويجوزها غانماً وأن يُحِلّنا دار المُقَامَةِ من فضله، لا يمسنا قبل بلوغها نصبٌ ولا لغوب. وأن يشمل بذلك والدينا والمسلمين والمسلمات.

❀ ❀ ❀

(1) ينظر: «التخويف من النار» (ص٢٤١، ٢٤٢) للحافظ ابن رجب.

٥ ـ تفاوت الناس في المشي على الصراط بحسب أعمالهم

دلَّت الأحاديث الواردة في شأن الصراط على أنَّ الناس يتفاوتون في مدىٰ سرعتهم ونجاتهم أو هلاكهم عند المرور على جسر جهنم.

ومن ذلك ما جاء في «صحيح البخاري»[1] ـ رحمه الله ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ [في حديث طويل يصف مرور الناس على الصراط وبعض أحداث الموقف] قال: «**ثم يؤتىٰ بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**». قال الصحابة: يا رسول الله، ما الجَسْر؟ قال: «**مَدْحَضةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكةٌ مفلطحةٌ لها شكوكةٌ عقيفة، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يَمُرَّ آخرهم يسحب سحباً....**» إلخ الحديث.

(1) رقم (٧٤٣٩) كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فانقسم الناس بذلك إلى أصناف وطرائق ثلاث[١]:

الصنف الأول: ناجٍ بلا خدش.

الثاني: هلك من أوّل وهلة.

الثالث: متوسط بينهما، يصاب ثم ينجو.

وكل قسم منها ينقسم أقساماً.

فالصنف الأول: وهم الناجون بلا خدوش.

منهم: من يمر مثل طرف العين، وهو أعلى الناس مرتبة، وأشرفهم منزلة، ومنهم: السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ومنهم: من يمر كالبرق وهؤلاء كالذين قبلهم في الأعمال الكثيرة والدرجات العظيمة.

وبعدهم قسم آخر: يمرون كالريح، وهم أقل من السابقين مع عظم أعمالهم ونجاتهم.

وبعدهم قسم آخر: وهم أناس يمرون كأجاويد الخيل، وهؤلاء أقل عملا وفوزاً ممن سبقهم.

---

(١) ذكر هذا التقسيم ابن أبي جمرة الأندلسي، المتوفى سنة **٦٩٩هـ** ـ رحمه الله ـ في كتابه: «بهجة النفوس» **(٢/٢٩)** وهو تعليقات على أحاديث من «صحيح البخاري» ونقله عنه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» **(١١/٤٥٤)**.

وبعدهم قسم آخر: وهم من يمرون كأجاويد الإبل، وهؤلاء أقل ممن قبلهم أيضاً.

وأهل هذه الأقسام يتفاوتون في تقدمهم وتأخرهم بحسب أعمالهم، كتفاوت ما مُثِّلَ به.

أما الصنف الثاني: وهم الهالكون من أول وهلة.

وهؤلاء لا يُتِمُّونَ المرور على الصراط والعبور منه إلى الجنة، لأن أعمالهم لا تهيئهم لذلك، وتتنوع هَلَكَةُ هؤلاء، فمنهم: من يكفأ في قعر جهنم من حين خَطْوِه على الصراط حيث يُنكَّس على رأسه والعياذ بالله، ومنهم: الموبق المخردل الذي تقطعه كلاليب الصراط، وتقشر جلده عن لحمه، ومنهم: من تقطعه كلاليب الصراط ثم لا ينجو ولا يقع في النار، نعوذ بالله من ذلك.

ومن وقع في النار من أهل التوحيد والإخلاص بسبب ذنوبه ومعاصيه فإنه يطهر في النار ثم يخرج منها كما تواترت بذلك الأحاديث[١].

---

(١) ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص**٥٢٤**) وما بعدها للعلامة ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ، ط.د. التركي، و«الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» (ص**٣٤٥ ـ ٣٥١**) لشيخنا العلامة زيد الفياض ـ رحمه الله ـ.

أما الصنف الثالث: فإنهم يعبرون الصراط ولكن بعد جهدٍ ومشقة.

وبعد أن يئسوا من النجاة وظنوا أنفسهم من الهالكين لعظم ما لاقوه، حتى إن منهم من «**يحبو على وجهه يديه ورجليه، يُجرُّ بيد ويُعلَّق بيد، ويُجرُّ برجلٍ ويعلق برجل، وتضرب جوانبه النار، حتى يخلص**».

حتى إذا نجا الواحد منهم التفت إلى النار وقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد أن أرانيك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً من العالمين[1].

ودلَّت الأحاديث ـ أيضاً ـ أنَّ مرور الناس بحسب أعمالهم وبحسب النور الذي يعطونه، واقتسامهم للنور الذي يضيء لهم الصراط هو بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والبطء.

وهذا يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ

(١) ينظر: «فتح الباري» (١١/٤٥٤) وما بعدها، للحافظ ابن حجر، و«فتح الباري» (٥/١٠٦) للحافظ ابن رجب، و«الحياة الآخرة» (٣/١٢٥٥ ـ ١٢٥٦) للشيخ غالب عواجي، و«شرح سنن ابن ماجه» (٤/٥٠٨) للسندي.

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

والثبات على الصراط والجواز عليه هو بحسب الاستقامة على دين الله وصراطه المستقيم في الدنيا، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم ظاهراً وباطناً استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، ومن لم يستقم سيره على الصراط المستقيم في الدنيا بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات المحرمة له عن هذا الصراط المستقيم من دين الله وشرعه، كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «**إنها تخطف الناس بحسب أعمالهم**»[1].

فالشهوات المحرمة تحبس أصحابها على الصراط وربما كردستهم على رؤوسهم في الجحيم والعياذ بالله، ومن الأدلة على ذلك أيضاً:

(١) ينظر: «التخويف من النار» (ص٢٤٠، ٢٤٣).

ما رواه الإمام أحمد وأبو داود[1] عن معاذ بن أنس الجهني عن النبيّ ﷺ قال: «**من حمىٰ مؤمناً من منافق يعيبه بعث الله تبارك وتعالىٰ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن بغىٰ مؤمناً بشيء يريد به شينه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**».

وبعد، أخي الكريم! فتلك هي عوارض المرور على جسر جهنم وما يعين على جوازه وحال كثير منا في هذه الدار هي التواني وعدم الاكتراث، أما حال السلف ـ رحمهم الله ـ وما أدراك ما حالهم فاسمع لشيء من حالهم:

جاء عن أبي سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ أنه وصف لأخته العبور فوق النار فأقامت يوماً وليلة تبكي، وكلما ذُكر لها ذلك بكت، فقيل لأخيها في ذلك، فقال: إنها مثَّلت نفسها وهي على الجسر يتكفأ بها.

وكان أبو سليمان يقول: إذا سمعت الرجل يقول لآخر بيني وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعرف الصراط

(١) «المسند» (٤٤١/٣) رقم (١٥٦٨٧)، «سنن أبي داود» (٤٨٨٣)، وحسَّنه الشيخ العلَّامة الألباني.

ولا يدري ما هو، لو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد[1].

فنسأل الله الرحمٰن الرحيم أن ينجينا من النار بفضله وكرمه وأن يجعلنا ممن إذا ورد على النار صدر عنها ناجياً سالماً. إنه سبحانه سميع مجيب.



(١) ينظر: «التخويف من النار» (ص٢٤١).



خامساً: القنطرة

بحث أهل العلم هذه المسألة ضمن حديثهم عن القنطرة التي يوقف عليها المسلمون قبل دخولهم الجنة[1].

والقنطرة في اللغة: الجسر[2]، وهي موضع يوقف فيه المؤمنون الذين جاوزوا الصراط ونجوا من النار لأجل أن يقتص لبعضهم من بعض قبل أن يدخلوا الجنة، وهذا بمثابة التطهير الكامل لقلوبهم عن أن يبقى فيها شيء من الغلّ أو الحقد أو البغضاء، ومن مقتضى هذا القصاص في هذا الموضع أن يزيل كل ما في

(١) ينظر: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وشرحها: «الروضة الندية» (ص٣٤٠) لشيخنا العلّامة زيد الفياض ـ رحمه الله ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط»، و«لسان العرب».

القلوب من غلّ وغيره، فيصيرون بذلك متهيئين لدخول الجنة، التي قال الله عن أهلها: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

ثبت في «صحيح البخاري» وغيره عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[1].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في شرحه هذا الحديث[2]:

قوله ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون في النار**» أي: نجوا من السقوط فيها بعدما جازوا على الصراط، وفي اللفظ الآخر: «**إذا خلص المؤمنون من جسر جهنم**».

قال الحافظ القرطبي: إن هؤلاء الذين يحبسون

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٤٠) كتاب المظالم، باب: قصاص المظالم، وبرقم (٦٥٣٥) في كتاب الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة.

(٢) ينظر: «فتح الباري» (٣٩٧/١١)، (٩٦/٥).

في القنطرة هم المؤمنون الذين علم الله أنَّ القصاص لا يستنفد حسناتهم.

قال الحافظ ابن حجر ـ معقباً على القرطبي ـ رحمه الله ـ:

ولعلَّ أصحاب الأعراف منهم على القول المرجح آنفاً، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين:

الأول: من دخل الجنة بغير حساب.

والثاني: من أوبقه عمله.

وقوله ﷺ: **«يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار»**.

قد تقدم أنَّ الصراط جسرٌ موضوع على متن جهنم وأنَّ الجنة وراء ذلك، فيمر عليه الناس بحسب أعمالهم، فمنهم الناجي وهو من زادت حسناته على سيئاته أو استويا أو تجاوز الله عنه، ومنهم الساقط وهو من رجحت سيئاته على حسناته إلَّا من تجاوز الله عنه، فالساقط من الموحدين يُعذَّب ما شاء الله، ثم يُخرج بالشفاعة وغيرها، والناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها.

واختُلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من

تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة. وقيل: إنهما صراطان. وبهذا الثاني جزم القرطبي[1].

وقوله ﷺ: **«فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا»** المراد تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها ببعض، ولذا قال: **«حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم بدخول الجنة»** والمعنى أنهم إذا خلصوا من الآثام بمقاصصه بعضها ببعض، ويشهد لهذا الحديث قوله في حديث جابر: **«لا يحل لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحدٍ قِبَلَه مظلمة»**. اهـ. شرح الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ ملخصاً.

ولسماحة الشيخ العلَّامة محمد بن صالح العثيمين نفع الله به، لفتة لطيفة عند قوله ﷺ: **«فيقص لبعضهم من بعض»** حيث قال:

«وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، لأن هذا قصاصٌ أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار، لأجل تنقية ما في القلوب، حتى

(١) ومال إليه الحافظ ابن حجر أيضاً (٩٦/٥).

يدخلوا الجنة، وليس في قلوبهم غل، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]».

انتهى كلام الشيخ من «شرحه للعقيدة الواسطية»[(١)] لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تعليقه على حديث أبي سعيد في القنطرة: «والتهذيب: التخليص، كما يُهَذَّب الذهب فيخلص من الغش، فتبين أنَّ الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهذيب والتنقية من بقايا الذنوب فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط». اهـ[(٢)].

فليرجع كل مسلم ومسلمة إلى نفسه ولينظر في عمله وما قدمه وما أخّره، ولينظر في علاقته بالآخرين وليصلح ما بينه وبينهم حتى لا يكون له خصم يوم القيامة.

فنسأل الله الجواد الكريم أن يكتب لنا الأمن يوم الفزع الأكبر.

والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد.

---

(١) (٢/١٦٣ ـ ١٦٤)، دار ابن الجوزي بتحقيق سعد بن فواز الصميل.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/٣٤٥) (رسالة الحسنة والسيئة).

صدر للمؤلف

أولاً: التحقيق:

١ ـ «**مختصر سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة**»، للحافظ عبدالغني المقدسي.

٢ ـ «**تهذيب السيرة النبوية**»، للعلَّامة النووي.

٣ ـ «**شرح ستة مواضع من السيرة النبوية**»، لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٤ ـ «**القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها**»، لسماحة الشيخ العلَّامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

ثانياً: الإعداد والتأليف:

١ ـ «**استدراك وتعقيب على الشيخ شعيب الأرناؤوط في تأويله بعض أحاديث الصفات**».

٢ ـ «مقاصد أهل الحسبة والأمور الحاملة لهم على عملهم في ضوء الكتاب والسنَّة».

٣ ـ «أسباب تحقيق العفاف».

٤ ـ «امرأة تهفو إلى مثلها القلوب».

٥ ـ «النساء والموضة والأزياء».

٦ ـ «من أحوال الناس بعد الموت».

٧ ـ «مشاهد الاحتضار»، بالاشتراك.

٨ ـ «مسائل في عذاب القبر ونعيمه والحياة البرزخية».

٩ ـ «لطائف وفوائد من الحياة الزوجية في بيت النبوّة».

١٠ ـ «طهارة بيت النبوّة» ـ دراسة لحادثة الإفك ـ.





الفهرس



الموضوع	الصفحة
ثانياً: الحوض	٨٥
ثالثاً: الميزان	٩٥
رابعاً: الصراط	١٠٥
١ ـ نصب الصراط على متن جهنم	١٠٥
٢ ـ وصف الصراط	١١٠
٣ ـ مَنْ الذين ينصب لهم الصراط	١١٥
٤ ـ أول الناس جوازاً على الصراط	١٢٠
٥ ـ تفاوت الناس في المشي على الصراط بحسب أعمالهم	١٢٥
خامساً: القنطرة	١٣٢
صدر للمؤلف	١٣٧
الفهرس	١٣٩




شبكة الألوكة
www.alukah.net